

تبصرة الساجد في أسباب

انتكاسة المجاهد

أبو البراء الإبي



1439 هـ - 2018 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

تبصرة الساجد في أسباب
انتكاسة المجاهد



بقلم/ أبو البراء الإبي

بيت المقدس

مقدمة الناشر

لم يزل المجاهد يكابد عقبات تقدمه، سواء للعدو نفسه بمكره وهجماته ومواصلة استهدافه، أو لأسباب خاصة بوسطه الجهادي والنفسي الشخصي، وسلوكاته وأخلاقه ومبادئه وصلابة عقيدته.

والعناية برفع درجة وعي المجاهد بجميع المخاطر التي قد تعيق تقدمه ونجاحه وكذا الأسباب التي تقوي ثباته وعطاءه، لهي من أسباب النصر التي يحتاجها المجاهدون خاصة في عصرنا الحاضر أين اتسعت دائرة الجهاد ونفر المسلمون فرادى وزرافات لنصرة دينهم وأمتهم، دون الدراية الكافية بمعوقات النجاح وأسباب التراجع والضعف.

ولهذه الغاية ، غاية كشف أسباب انتاكسة المجاهد، قدم لنا الكاتب أبو البراء الإبي جمعا مباركا طيبا، يسبر أغوار المسألة ويقدم التشخيص الواقعي لكل سبب، موجها دعوة للصف الجهادي بالاهتمام بهذه الأسباب، لتجنب الانتكاس وحفظ العطاء سامقا يليق بحجم المآسي التي تعيشها الأمة وبواجباته المناطة به في سبيل الله يرجو ما عند ربه، زاده الإخلاص وهمّه الإتقان.

نرجو أن يجد المجاهد المقبل والمنخرط في عطاء الفداء، خير دليل له مع (تبصرة الساجد في أسباب انتكاسة المجاهد). ونسأل الله أن ينفع ببذل أبي البراء ويبارك في جهده في إضافة الجديد للمكتبة الجهادية والإسلامية.

بيت المقدس

الفهرس



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين مُحَّد بن عبد الله الصادق الأمين صلوات ربي وسلامه عليه وبعد :

فإن طريق الجهاد طريق شاق وطويل محفوف بالمكاره والمخاطر مفروش بالأشواك ، والجهاد إنما سمي بهذا الاسم لأنه مأخوذ من الجهد وهو التعب والمشقة ، كيف لا يكون شاقا وهو طريق الجنة وذروة سنام الإسلام ولا يعدله أي عمل من الأعمال الأخرى حتى الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر لن يصل إلى مرتبته .

"فمن أراد أن يحمل مبدأً أو يبلغ دعوة فليضع في حسابه هذه الأمور، وليتهيأ لها وليتوقعها بل ليتيقن أنه سيصاب بشيءٍ منها، أما من أرادها كلمة طيبةً وسفراً قاصداً، ونزهةً جميلةً، ومهرجاناً حافلا، وخطبة منمقةً، وحفاوةً به بالغةً فليراجع سجل الرسل والدعاةِ من أتباعهم منذ أن جاء هذاالدين بل منذ أن بعث الله الرسل عليهم السلام إلى يومنا هذا".

في الحديث الصحيح:" إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلاذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ". وفي الحديث الذي خرجه أهل السنن: " إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين عاماً، ثم يحضره الموت فيجور في وصيته فيدخل النار ". ما أصعب الانتقال من البصر إلى العمى، وأصعب منه الضلالة بعد الهدى، والمعصية بعد التقى.

كم من وجوه خاشعة وقع آخر أعمالها: "عاملة ناصبة. تصلى ناراً حامية" ، كم من راكب بقاربه ساحل النجاة، مشرف على الساحل، فلما هم أن يرسي لعب به موج الهوى فغرق. الخلق كلهم تحت هذا الخطر. قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء. قال بعضهم: ما العجب ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا .

وأنت أيها الأخ المجاهد وأنت تسير في هذا الطريق المحفوف بالمخاطر تستلقفك فتن الشهوات وفتن الشبهات فتن كقطع الليل المظلم فتن تجعل الحليم حيران ، والعاقل بمنزلة السكران، فتن يصبح الرجلفيها مؤمنا ويمسي كافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل .

إن الناظر في هذا الطريق يجد أن هناك كماً هائلاً من الشباب ممن سار في هذا الطريق لكنه يجد القلةَ ممن ثبت على هذا الطريق ، كم الشباب الذين ذهبوا إلى جبال أفغانستان أيام الجهاد الأول ضد الاتحاد السوفيتي ومكثوا أياما وشهورا وسنين ثم رجعوا إلى بلادهم ،كم الثابتين الآن أليسوا قلة، بل أقل من القليل ، والكثير منهم رجعوا القهقري والتفتوا إلى الوراء.

كذلك إذا نظرتَ كم النافرين أيام المكلا الذين التحقوا بأنصار الشريعة كم هم ومن الثابتون الآن على الطريق ربما تجدهم قلة، لهذا كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم يا مقلب القلوب ثبتقلوبنا على طاعتك) وكان عليه الصلاة والسلام يكثر من هذا الدعاء ، ترى لماذا يكثر من هذا الدعاء ؟

لأنه عليه الصلاة والسلام يعرف وكان يردد (قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء) .

فالثبات أيها الأخ المجاهد الحبيب عزيز فلا تغفل عن هذا الدعاء .

كم المتعثرين الساقطين في جنبات هذا الطريق ممن كان لهم سبق في الجهاد بحجة اتضحت لنا الصورة ، أو وجدنا غلوا عند هؤلاء ، أو مخترقون ، أو ضعفاء في الإدارة، أو متعجلون أو ليس معهم علماء أو... إلخ

الجماعة الإسلامية التي كتبت وصنفت وعملت وجاهدت أين هم اليوم، إن بعض قادتها سقطوا باسم المراجعات والتراجعات سقطة مدوية ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إن الثابتين لا يعرفون إلا في وقت الشدائد ، والمنافقين ما عرفوا إلا في أحد لما عرفوا أن المعركة ليست لصالحهم لأن الحصول على الغنائم فيها احتمال ضعيف، قال الله تعالى:{سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلى مَغانِمَ لِتَأْخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ. يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا } فهم لا يظهرون إلا عند الانتصارات والفتوحات كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ قالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِين سَبِيلاً}.

هؤلاء هم أهل النفاق في كل زمان ومكان.

ليس العجيب من المتساقطين بل أعجب من هذا ممن يبرر للمتساقطين .

اليوم دخلت فتنة على بعض الشباب وهي فتنة التسليم للمرتدين بحُججٍ واهية أوهى من خيوط العنكبوت ولكنها الفتنة تعمي وتصم أحدهم ممن سلم للطواغيت ممن أعطي بعض العلم، يقول : حين سئل لماذا سلمت ؟

فيجيب أنا درستها دراسة شرعية وعسكرية واستراتيجية .

أعوذ بالله وأسأل الله الثبات من أين لك أن في الشريعة الإسلامية أنه يجوز لك إذا اختلفت مع أحدالأمراء، حتى ولو كان الأمير مخطئاً، أن تترك المنهج وتنتكس وتسلم للمرتدين ممن يحاربون الله ليل نهار، حاربوا أوليائه، قتلوا خيرة خلقه، سجنوا المجاهدين في كل مكان، حاربوا الإسلام علانية من دون خفاء .

أيها الأخ المجاهد هناك حقيقة لابد أن تعرفها أنك ما خرجت في هذا الطريق من أجل الأمير الفلاني وإنما خرجت مجاهداً في سبيل الله فإذا اختلفتَ مع الأمير فلا يؤثر على سيرك في هذا الطريق .

قال الله تعالى منكرا على من حصل له ضعف بموت الرسول ﷺ :{أَفَإِنْ مَاتَ أَوْقُتِلَ انْ قَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ ينَقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّه الشَّاكِرِينَ}.

أي رجعتم القهقري {وَمَنْ ينَقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّه شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}.

قال الأستاذ سيد قطب تقبله الله في الظِلال : "فإنما هو الخاسر، الذي يؤذي نفسه في تنكب الطريق، وانقلابه لن يضر اللّه شيئا. فاللّه غني عن الناس وعن إيمانهم.

ولكنه رحمة منه بالعباد شرع لهم هذا المنهج لسعادتهم هم، ولخيرهم هم. ومايتنكبهم تنكب حتى يلاقي جزاءه من الشقوة والحيرة في ذات نفسه وفي من حوله. وحتى يفسد النظام وتفسد الحياة ويفسد الخلق، وتعوج الأمور كلها، ويذوق الناس وبال أمرهم في تنكبهم للمنهج الوحيد الذي تستقيم في ظله الحياة، وتستقيم في ظله النفوس، وتجد الفطرة في ظله السلام مع ذاتها، والسلام مع الكون الذي تعيش فيه " . أ هـ

لما رأيت الشيطان قد نصب شباكه ليسقط من يسقط عن هذا الطريق في شباكه ، أعملت مقصاً لأقطع هذه الشباك ولأفك عن إخواني حتى لا يتساقطون في شباكه، كتبت هذه الورقات وحسبي أننيجمعت كلام أهل العلم ما تفرق لأعالج هذا الموضوع وهو (أسباب انتكاسة المجاهد) فإذا عرفتها فاحذر أن تقع فيها .

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما:" كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عنالخير وكنت أسله عن الشر مخافة أن يدركني " وما أحسن ما قال الشاعر :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه   ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه

اللهم إنا نسألك الاستقامة على هذا الدين، اللهم يا ما مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ، اللهم إنا نعوذ بك من فتن الشبهات والشهوات ، اللهم نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه / أبو البراء الإبي

السبب الأول/ الالتحاق بالمجاهدين من غير اقتناع ولا رغبة .

تجده ربما التحق بهم لأسباب معينة، مثلاً:

- التحق بهم لأنه يجد الأنس معهم ولدماثة أخلاقهم .
- التحق بهم لأنه أعجب بشخص معين إما لشجاعته أو لقرابته منه .
- التحق بهم بسبب موقف أثر عليه من الطواغيت كأن يكون ظُلم هو أو ظُلم أحدٌ أمامه .
- التحق بهم بسبب الاصدارات التي تُحمس الشباب للجهاد وغالباً من حاله هذا ينتكس إلا إذانمى التزامه .
- التحق بهم بسبب تعصبه للقبيلة كأن تكون قبيلته ظُلمت من الحوثي أو غيره من الطواغيت .
- التحق بالشباب المجاهد بسبب تضيق الحوثي أو أي طاغوت عليه في بلاده فلم يجد ملجأ إلا عند المجاهدين . وربما لايعرف صعوبة هذاالطريق.

الله تعالى أخبر أتباع الرسل أنَّهم لن يخلُوا ممن يعيبهم بالباطل ويذمُّهم بالكذب والزور، ويؤذيهم بكلما يُؤذي، وخاصة من الكلام فقال تعالى: (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً)، وهذه الآية نزلت في المدينة بعد الهجرة كما في صحيح البخاري فكيف بما كان قبل الهجرة من الأذى؟

فمن هنا كان أهمِّيَّة أن يعرف المسلم الحقَّ بدليل لئلاَّ تزلزله الفتن والدعاية التي ينشرها عدو الله، فمن آمن بالله وكفر بالطاغوت واعتقد وجوب الجهاد وناصر المجاهدين عن معرفةٍ لحقيقة الواجب عليه فإنَّه ثابتٌ بإذن الله لاتضره أكاذيب الطواغيت، ولا فتنة ما دام حياً بإذن الله .

فإذا عُلم هذا؛ فمن وجد في نفسه ضعفًا عند مشاهدة أمثال هذه الفتن، فليرجع إلى نفسه ولينظر هل تأييده الجهاد ومناصرته المجاهدين عن عاطفةٍ وانفعالٍ وحماسٍ مجرَّدة عن الدليل والعقيدة؟ أم أيَّد المجاهدين انطلاقًا من الواجب الشرعي عليه بمناصرة الجهاد وأهله، ولينظر في أدلَّة المجاهدين وأقوالهم و يأخذها بأدلَّتها.

أحد هؤلاء ممن سجن في سجون الطواغيت وخرج من السجن، تنكر للكل من يعرفه يمشي بهذا الطريق، حتى أن من سلم عليه من الشباب يقول له تعرفوني، وتنكر له كأنه لايعرفه ولا التقى به أبداً.

وليعلم الأخ المجاهد أنَّ الجهاد واجبٌ عليه مع البرِّ والفاجر، فلو كان المجاهدون فجرةً ظلمةً يُجاهدون جهادًا شرعيًّا وجب أن يُناصروا فيه ويُعانوا عليه، وهذا من معتقد أهل السنة الذي لا يختلفون فيه، ودلالة الكتاب والسنة عليه لا مرية فيها، هذا لو كان المجاهدون كما يصف الطواغيت من الفجور، فكيف وقد علم الله والمؤمنون أنَّه كذبٌ وبهتان؟ وأنَّ المجاهدين أهل صدقٍ وصبرٍ صُوَّام نهارٍ قُوَّام ليل في السنة كلِّها.

يقول القرطبي في قول الله تعالى: "يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجراتٍ فامتحنوهن" .

فيه ثلاثة أقوال في الذي كان صلى الله عليه وسلم يمتحنهن به وخلاصة هذه الأقوال ما يلي:

1) أنه كان يستحلفها ما خرجت لبغض زوج، ولا رغبةً من أرضٍ إلى أرض، ولا طلباً لدنيا، ولا عشقاً لرجل من المسلمين، فإذا حلفت على ذلك قبل منها، وهذا منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما.

2) أنه كان يمتحنها بشهادة لا إله إلا الله وأن مُحَّداً رسول الله، وهو أيضاً منقول عن ابن عباس.

3) أنه كان يمتحنها بالآية التي وردت بعد آية الامتحان وهي آية المبايعة وهذا ما صرحت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الحديث المتقدم .

السبب الثاني/ فساد النية والجهاد من أجل الدنيا

فالنية رأس كل أمر ، وهي روح العمل ، فلا يصح إلا بصحة النية ولا يفسد إلا بفساد النية ، وقد جرت سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول أن يكافئ الله كل إنسان: بحسب إخلاصه ونيته ومعاملته لربه وأن يلبس المرائي من المقت والمهانة ما هو اللائق به ، فالمخلص له المهابة والمحبة وللآخر المقت والبغضاء .

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يبيّن للمسلمين ضرورة اقتران النيّة بالجهاد، وأن لا يكون الدافع إلى القتال الحصول على الغنائم، أو الرغبة في الشهرة والمجد الشخصي أو الوطني، فقد سئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن رجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) .

بل لا بد من إخلاص النية لله، وأن لا يقترن القصد من الجهاد بأي غرض دنيوي لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا له وابتغي به وجهه .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (تضمّن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلّا جهادا في سبيله، وإيمانا بي، وتصديقا برسلي، فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنّة، أو أرجعه إلى مسكنه، الّذي خرج منه، نائلا ما نال من أجر أو غنيمة، والّذي نفس محمّد بيده! ما من كلم أي جرح يكلم في سبيل الله إلّا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم، وريحه مسك، والّذي نفس محمّد بيده، لولا أن يشقّ على المسلمين ما قعدت خلاف

سريّة تغزو في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشقّ عليهم أن يتخلّفوا عنّي، والّذي نفس محمّد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثمّ أغزو فأقتل، ثمّ أغزو فأقتل) .

ومن الصعب تقديم النماذج الكثيرة التي توضح أثر هذه التوجيهات النبوية على نفسية المقاتل المسلم، ولكن يمكن اختيار نموذجين لمقاتلين من عامة الجند، فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم للمسلمين أثناء القتال في غزوة أحد: (قوموا إلى جنة عرضها السّماوات والأرض)، فسمعه عمير بن الحمام الأنصاري فقال: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخٍ بخ كلمة تقال لتعظيم الأمر في الخير فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ما يحملك على قولك بخ بخ؟»، قال: لا والله يا رسول الله إلّا رجاءة أن أكون من أهلها. قال: «فإنّك من أهلها». فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل». فهذا النموذج الأول.

وأما الثاني: فقد صح أن أعرابيّا شهد فتح خيبر أراد النبي صلّى الله عليه وسلّم أثناء المعركة أن يقسم له قسما وكان غائبا، فلما حضر أعطوه ما قسم له، فجاء به إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فقال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى ههنا– أشار إلى حلقه– بسهم فأدخل الجنة. قال: «إن تصدق الله يصدقك». قال:

فلبثوا قليلا، ثم نهضوا في قتال العدو فأتى به يحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فكفنه النبي صلّى الله عليه وسلّم بجبته وصلى عليه ودعا له، فكان مما قال: «اللّهمّ هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا، وأنا عليه شهيد» .

إن هذه الرواية شاهد قوي على ما يبلغه الإيمان من نفس أعرابي ألف حياة الغزو والسلب والنهب في الجاهلية فإذا به لا يقبل ثمنا لجهاده إلّا الجنة، فكيف يبلغ الإيمان إذا من نفوس الصفوة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟. (نضرة النعيم)

قيل للثوري: ألا تشهد جنازنه؟ فقال: لو كانت لي نية لفعلت .

ومات الحسن البصري فلم يحضر ابن سيرين جنازته فسئل عن ذلك فقال: لم يكن لي نية .

وقد كان العلماء إذا سئلوا عن عمل شيء أو سعي فيه يقولون: إن رزقنا الله نية فعلنا ذلك.

وقال يحيى بن كثير: حسن النية في العمل أبلغ من العمل .

وقال الفضيل بن عياض: لا تتحدّث إلاّ بنية.

وكان بعضهم يقول: الخوف على فساد النية وتغيرها أشد من ترك الأعمال .

قال ابن القيم في إعلام الموقعين :" قَوْلُهُ : يعني عمر ابن الخطاب : " فَمَنْ خَلَصَتْ نِيَّتُهُ فِي الْحَقِّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ تَزَيَّنَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ

شَانَهُ اللَّهُ " هَذَا شَقِيقُ كَلَامِ النُّبُوَّةِ ، وَهُوَ جَدِيرٌ بِأَنْ يَخْرُجَ مِنْ مِشْكَاةِ الْمُحَدِّثِ الْمُلْهَمِ ، وَهَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ مِنْ كُنُوزِ الْعِلْمِ ، وَمِنْ أَحْسَنِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُمَا نَفْعُ غَيْرِهِ ، وَانْتَفَعَ غَايَةَ الِانْتِفَاعِ :

فَأَمَّا الْكَلِمَةُ الْأُولَى فَهِيَ مَنْبَعُ الْخَيْرِ وَأَصْلِهِ ، وَالثَّانِيَةُ أَصْلُ الشَّرِّ وَفَصْلُهُ ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا خَلَصَتْ نِيَّتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى وَكَانَ قَصْدُهُ وَهَمُّهُ وَعَمَلُهُ لِوَجْهِهِ سُبْحَانَهُ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ، وَرَأْسُ التَّقْوَى وَالْإِحْسَانِ خُلُوصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ فِي إِقَامَةِ الْحَقِّ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا غَالِبَ لَهُ ، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَغْلِبُهُ أَوْ يَنَالُهُ بِسُوءٍ ؟ فَإِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَ الْعَبْدِ فَمَنْ يَخَافُ ؟ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ فَمَنْ يَرْجُو ؟ وَبِمَنْ يَثِقُ ؟ وَمَنْ يَنْصُرُهُ مِنْ بَعْدِهِ ؟ فَإِذَا قَامَ الْعَبْدُ بِالْحَقِّ عَلَى غَيْرِهِ وَعَلَى نَفْسِهِ أَوَّلًا ، وَكَانَ قِيَامُهُ بِاللَّهِ وَلِلَّهِ لَمْ يَقُمْ لَهُ شَيْءٌ ، وَلَوْ كَادَتْهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ لَكَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَتَهَا ، وَجَعَلَ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا ؛ وَإِنَّمَا يُؤْتَى الْعَبْدُ مِنْ تَفْرِيطِهِ وَتَقْصِيرِهِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ ، أَوْ فِي اثْنَيْنِ مِنْهَا ، أَوْ فِي وَاحِدٍ ؛ فَمَنْ كَانَ قِيَامُهُ فِي بَاطِلٍ لَمْ يُنْصَرْ ، وَإِنْ نُصِرَ نَصْرًا عَارِضًا فَلَا عَاقِبَةَ لَهُ وَهُوَ مَذْمُومٌ مَخْذُولٌ ، وَإِنْ قَامَ فِي حَقٍّ لَكِنْ لَمْ يَقُمْ فِيهِ لِلَّهِ وَإِنَّمَا قَامَ لِطَلَبِ الْمَحْمَدَةِ وَالشُّكُورِ وَالْجَزَاءِ مِنْ الْخَلْقِ أَوْ التَّوَصُّلِ إِلَى غَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ كَانَ هُوَ الْمَقْصُودُ أَوَّلًا ، وَالْقِيَامُ فِي الْحَقِّ وَسِيلَةٌ إِلَيْهِ ، فَهَذَا لَمْ تُضْمَنْ لَهُ النُّصْرَةُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا ضَمِنَ النُّصْرَةَ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ ، وَقَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، لَا لِمَنْ كَانَ قِيَامُهُ لِنَفْسِهِ وَلِهَوَاهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ الْمُتَّقِينَ وَلَا مِنْ الْمُحْسِنِينَ ، وَإِنْ نُصِرَ فَبِحَسَبِ مَا مَعَهُ مِنْ الْحَقِّ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا

يَنْصُرُ إِلَّا الْحَقَّ ، وَإِذَا كَانَتْ الدَّوْلَةُ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ فَبِحَسَبِ مَا مَعَهُمْ مِنْ الصَّبْرِ ، وَالصَّبْرُ مَنْصُورٌ أَبَدًا ؛ فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مُحِقًّا كَانَ مَنْصُورًا لَهُ الْعَاقِبَةُ " أ هـ

العمل الكثيراً مع فساد النية يورد صاحبه المهالك، فقد أخبر الله عز وجل عن المنافقين أنهم يُصلّون وينفقون ويقاتلون، وأخبر النبي ﷺ عنهم أنهم يتلون كتاب الله في قوله: (ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر) متفق عليه.

ولِفَقْدِ صدقهم في إخلاصهم قال الله عنهم :{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ } (وأول من تسعر بهم النار يوم القيامة قارئ القرآن والمجاهد والمتصدق بماله ، الذين لم تكن أعمالهم خالصة لله، وإنما فعلوا ذلك ليقال فلانٌ قارئ، وفلان شجاع، وفلانٌ متصدق)) رواه مسلم.

والعمل وإن كان يسيراً يتضاعف بحسن النية والصدق والإخلاص، ويكون سبباً في دخول الجنات ، يقول النبي : ((مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأُنحين هذا عن المسلمين ، لا يؤذيهم فأدخل الجنة)) رواه مسلم.

((وامرأة بغي رأت كلباً يطيف بركيّةٍ كاد يقتله العطش، فسقته بموقها ماءً فغفر الله لها)) متفق عليه.

يقول عبد الله بن المبارك: "رُب عملٍ صغيرٍ تعظمه النية، ورب عملٍ كبيرٍ تصغره النية"، قال ابن كثير رحمه الله في قوله: {واللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء} "أي: بحسب إخلاصه في عمله".

(تنبيه)

قال ابن حجر الهيتمي في الزواجر : (الْكَبِيرَةُ السَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ الثَّلَاثِمِائَةِ : نَكْثُ بَيْعَةِ الْإِمَامِ لِفَوَاتِ غَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ) أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ ابْنَ السَّبِيلِ ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا سِلْعَةً بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاَللَّهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إلَّا لِدُنْيَا ، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَّى وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ) .

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أنه قال : (الْكَبَائِرُ : الْإِشْرَاكُ بِاَللَّهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ ، وَالْفِرَارُ مِنْ الزَّحْفِ ، وَالتَّعَرُّبُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ ، وَالسِّحْرُ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَفِرَاقُ الْجَمَاعَةِ ، وَنَكْثُ الْبَيْعَةِ) .

ومن الجدير ذكره في هذا المقام أن البيعات أو العهود التي يعقدها المسلمون فيما بينهم، ويلزمون أنفسهم بها وسواء كانت هذه العهود على الجهاد في سبيل الله، أو على تعلم علم نافع، أو العمل مع جماعة على الحق بعمل مخصوص، أقول: لا يجوز بحال من الأحوال نقض هذه العهود والبيعات بعد إبرامها إلا بموجب شرعي يقتضي نقض العهد أو البيعة، وبخلاف ذلك فإن ناكث العهد وناقضه قد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، وأتى بعظيم من عظائم الأمور، وتعدى حدود الملك

القهار، واستحق بذلك أن يبوء بسخط الجبار، قال تعالى: { وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً }، قال ابن كثير: أي الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملونهم بها، فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه { إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا } أي: عنه. وقال سبحانه: { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً } قال القرطبي في تفسيره: وأوفوا بعهد الله لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان ويلتزمه الإنسان من بيع أو صلة أو مواثقة في أمر موافق للديانة.

فعلى من في رقبته بيعة أو عهد أو ألزم نفسه بميثاق، أن يتقيَ الله في ما قد أعطى، وأن لا يحل عقداً أبرمه من غير موجب شرعي معتبر، وليحذر من تسويل الشيطان له وإغرائه، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد كما تقدم، فلا يجعلن من خصومة أو نزاع أو اختلاف في الرأي سبباً موجباً لنقض عهد أبرمه وليتق الله فيما أمر،

ومن رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر وليحتسب فإن الله عنده حسن الثواب، ولا يكونن أداة لشق صف اجتمع على نصرة دين الله في زمن كثرت فيه الفتن.[1]

[1] التذاكر الجياد

السبب الثالث / إرجاف المرجفين وتخذيل المخذلين

قال ابن النحاس رحمه الله: " يمنع الأمير المخذل من الحضور في الجيش، فإن خرج رده، فإن قاتل لم يستحق شيئاً، ولو قتل كافراً لا يستحق سلبه عند الشافعي وأحمد.

والمخذل : هو من يخوف الناس بأن يقول: عدونا كثير، وخيلُنا ضعيفة، ولا طاقة لنا بهم، ونحو ذلك.. وفي معناه المرجف، وهو الذي يكثر الأراجيف، بأن يقول: أقبلت سرية كذا، أو لحقهم مدد العدو من جهة كذا، أولهم كمين في موضع كذا، ونحو ذلك " .

وجاء في السير أن رجلاً قال لخالد بن الوليد رضي الله عنه يوم اليرموك: "ما أكثر الروم وأقل المسلمين"، فقال له خالد رضي الله عنه: (بئس ما قلت، إن الجيوش لا تُنصر بكثرة العدد وإنما تنهزم بالخذلان) .

قال الله تعالى : "وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا "

قال القرطبي: "وذلك أن طعمة بن أبيرق وابن قشير وجماعة نحو من سبعين رجلاً قالوا يوم الخندق: كيف يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا يستطيع أحدنا أن يتبرز" أ هـ.

وقال الأستاذ سيد قطب تقبله الله في الظِلال: "وجد هؤلاء، أي المنافقون في الكرب المزلزل، والشدة الآخذة بالخناق فرصة للكشف عن خبيئة نفوسهم وهم آمنون من أن يلومهم أحد، وفرصة للتوهين والتخذيل وبث الشك والريبة في وعد الله ووعد رسوله، وهم آمنون من أن يأخذهم أحد بما يقولون، فالواقع بظاهره يصدقه في التوهين والتشكيك.

وهم مع هذا منطقيون مع أنفسهم ومشاعرهم، فالهول قد أزاح عنهم ذلك الستار الرقيق من التجمل، وروع نفوسهم ترويعا لا يثبت له إيمانهم المهلهل! فجهروا بحقيقة ما يشعرون غير مبقين ولا متجملين!

ومثل هؤلاء المنافقين والمرجفين قائمون في كل جماعة، وموقفهم في الشدة هو موقف إخوانهم هؤلاء.

فهم نموذج مكرر في الأجيال والجماعات على مدار الزمان فهم يحرضون أهل المدينة على ترك الصفوف، والعودة إلى بيوتهم، بحجة أن إقامتهم أمام الخندق مرابطين هكذا، لا موضع لها ولا محل، وبيوتهم معرضة للخطر من ورائهم وهي دعوة خبيثة تأتي النفوس من الثغرة الضعيفة فيها، ثغرة الخوف على النساء والذراري.

والخطر محدق والهول جامح، والظنون لا تثبت ولا تستقر! ويستأذن فريق منهم النبي، يقولون: (إن بيوتنا عورة) يستأذنون بحجة أن بيوتهم مكشوفة للعدو، متروكة بلا حماية.

وهنا يكشف القرآن عن الحقيقة، ويجردهم من العذر والحجة:(وما هي بعورة) ويضبطهم متلبسين بالكذب والاحتيال والجبن والفرار:(إن يريدون إلا فرارا) " أ هـ .

وقال تعالى : {فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا}

قال القرطبي في تفسيره : "وهذا يدل على أن اصطحاب المختل (المرجف) في الغزوات لا يجوز" أ هـ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهكذا لما قدم هذا العدو وكان من المنافقين من قال: ما بقيت الدول الإسلامية تقوم ، فينبغي الدخول في دولة التتار، وقال بعض الخاصة: ما بقيت أرض الشام تسكن ، بل ننتقل عنها ، إما إلى الحجاز واليمن ، وإما إلى مصر، وقال بعضهم: بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء ، كما قد استسلم لهم أهل العراق ، والدخول تحت حكمهم. فهذه المقالات الثلاث قد قيلت في هذه النازلة، كما قيلت في تلك، وهكذا قال طائفة من المنافقين ، والذين في قلوبهم مرض، لأهل دمشق خاصة والشام عامة؛ لا مقام لكم بهذه الأرض " أ هـ .

وقال شيخ الإسلام أيضاً: "فهذه الفتنة قد تفرق الناس فيها ثلاث فرق الطائفة المنصورة وهم المجاهدون لهؤلاء القوم المفسدين والطائفة المخالفة وهم هؤلاء القوم ومن تحيز اليهم من خبالة المنتسبين إلى الاسلام والطائفة المخذلة وهم القاعدون عن جهادهم وان كانوا صحيحي الإسلام فلينظر الرجل أيكون من الطائفة المنصورة أم من الخاذلة ام من المخالفة فما بقى قسم رابع .

واعلموا أن الجهاد فيه خير الدنيا والآخرة وفى تركه خسارة الدنيا والآخرة قال الله تعالى في كتابه { قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين } يعنى اما النصر والظفر واما الشهادة والجنة فمن عاش من المجاهدين كان كريما له ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ومن مات منهم او قتل فإلي الجنة " . أ هـ

قال ابن قدامة في المغني : " ولا يستصحب الامير معه مخذلا وهو الذي يثبط الناس عن الغزو ويزهدهم في الخروج اليه والقتال والجهاد مثل أن يقول : الحر أو البرد شديد والمشقة شديدة ولا تؤمن هزيمة هذا الجيش وأشباه هذا ولا مرجفا وهو الذي يقول : قد هلكت سرية المسلمين ومالهم مدد ولا طاقة لهم بالكفار والكفار لهم قوة ومدد و صبر ولا يثبت لهم أحد ونحو هذا ولا من يعين على المسلمين بالتجسس للكفار واطلاعهم على عورات المسلمين ومكاتبتهم بأخبارهم ودلالتهم على عوراتهم أو إيواء جواسيسهم ولا من يوقع العداوة بين المسلمين ويسعى بالفساد لقول الله تعالى : { ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين * لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة } ولأن هؤلاء مضرة على المسلمين فيلزمه منعهم وإن خرج معه أحد هؤلاء لم يسهم له ولم يرضخ وإن أظهر عون المسلمين لأنه يحتمل ان يكون أظهره نفاقا وقد ظهر دليله فيكون مجرد ضرر فلا يستحق مما غنموا شيئا " أ هـ .

قال الحافظ ابن كثير وهو يتحدث عن وقعة "شقحب" في البداية والنهاية : "وقد تكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء التتار من أي قبيل هو؟ فإنهم يظهرون الإسلام، وليسوا بغاة على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه، فقال الشيخ

تقي الدين ابن تيمية: هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة، فتفطن العلماء والناس لذلك؛ وكان يقول للناس: إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني؛ فتشجع الناس في قتال التتار وقويت قلوبهم ونياتهم ولله الحمد)".

السبب الرابع / عدم فهمه للشباب المجاهد فهماً صحيحاً

ومن ذلك أن الشاب الذي التزم بالجهاد حديثاً يصوّر لنفسه أنه مع ملائكة لا يخطئون ويجب ألا يخطئوا، مع أن هؤلاء بشر ، يخطئون ويصيبون، نحسب أن صوابهم أكثر من خطئهم، ولكن لا يعني هذا أن خطأهم غير موجود، لهم أخطاء قد تكبر وقد تصغر قد تقل وقد تكثر المهم أنهم بشر كغيرهم من البشر.

فإذا دخل الشاب بهذا التفكير وبهذا التصور يفاجأ بوجود أخطاء، فيولد هذا صدمة في حياته ويؤثر عليه سلبياً مما يجعله ينتكس مرة أخرى لاسيما إذا كان الخطأ من الكبار .

أخطاء بعض المجاهدين لا تعني خطأ الجهاد، ونصحهم يكون مع الولاء لهم حتى لا يستغله المبطلون المخذلون في رد الجهاد .

إن المجاهدين بشر كغيرهم يخطئون ويصيبون، ولا عصمة لأحد بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولكن ينبغي الحذر كل الحذر عندما يكون هناك حاجة إلى ذكر هذه الأخطاء والتناصح حولها سراً ، لا أن تكون في منابر عامة قد يفهم منها التعريض بالجهاد والمجاهدين، وقد يكون إبرازها في المنابر العامة مقصود لذاته من قبل أعداء الدين وأعداء الجهاد والدعاة والمجاهدين؛ وذلك ليوظفوها في مخططهم الماكر في القضاء على الدعاة الصادقين وتعطيل شعيرة الجهاد والاحتساب .

وفي عدم الانتباه لمآلات الكلام عن أخطاء المجاهدين مفسدة كبيرة قد يجد المتحدث نفسه متورطًا في الإسهام مع أعداء الدين في عرقلة المجاهدين في إحياء الأمة من سباتها وقد يجد نفسه وهو لا يشعر في خندق الطواغيت من الكافرين والمنافقين .

ولننظر لطريقة القرآن الكريم في تقويم أخطاء المجاهدين، فحين لم يلتزم الرماة في غزوة أحد بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلوا لأرض المعركة مع أنَّه ـ صلى الله عليه وسلم أمرهم بأن يلزموا مكانهم، ولا ينزلوا لأرض المعركة إلاَّ حين انتهائها بينهم وبين كفَّار قريش، إلاَّ أنَّهم استعجلوا الأمر ونزلوا لأرض المعركة قبل انتهائها، وبعد هزيمتهم تساءلوا: ما السبب في ذلك؟

قال الله تعالى:{ أَوَلَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها قُلْتُمْ أَنَّى هذا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، ففي هذه الآية بيَّن سبحانه وتعالى خطأ أولئك المجاهدين، إلاَّ أنَّه عزَّ وجل لم يقدح في عدالتهم، أو يشكِّك في نيَّاتهم.

وذلك لأنَّ هؤلاء لهم دور كبير في نصرة الإسلام، والمنهج الإسلامي في عمليَّة النقد متوازن وموضوعي في الوقت ذاته، فالعتاب وتبيين الخطأ لكلِّ من أخطأ فريضة إسلاميَّة، ولكنَّ ذاك الخلل ينبغي أن يغتفر في الحسنات الكثيرة التي أصاب بها المخطئ، وكثيراً ما كان يركِّز ابن القيِّم ـ رحمه الله ـ على ذلك ويستشهد بحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (إذا كان الماء قلَّتين لم يحمل الخبث). وكذلك فإنَّه يقول :" أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم" ، وبهذا يكون الاتزان في منهج التعامل مع أخطاء ذوي الأقدار والمروءات.

هل سمعتم أن أَحدا ممن شهد أُحداً عير أخاه بأنه فرَّ من المعركة وطول السنوات وهو يعييره أنت أيه الفار مثل ما نشهده اليوم .

لنا من انسحاب المكلا أكثر من سنة ونصف وما زال مرضى النفوس يذكرونك بالانسحاب و يا ليتهم يذكونك بتحكيم الشريعة وما حصل فيها من الخير الكبير، لا إنما حسرتهم على الأموال التي تركت وحسرتهم على الفنادق والمكيفات .

نحن اليوم في الأحزاب فلنتحدث عن الأحزاب وتجمعهم على الملة وأنصارها ، كيف نواجههم وكيف نخطط لدحرهم والانتصار عليهم .

المجاهدون ليسوا معصومين ففيهم الصالحون ومنهم دون ذلك بل ربما كان أميرهم من الفجار ولم يكن ذلك مانعا من الجهاد بل عدّ ذلك أهل السنة من أصول منهجهم وذكروه في عقائدهم وأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة مع البر والفاجر من الأمراء المسلمين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في الفتاوى : " ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور فإنه لابد من أحد أمرين : إما ترك الغزو معهم، فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا، وأما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها ، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ماأشبهها بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه.

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم)

فهذا الحديث الصحيح يدل على معنى ما رواه أبو داود في سننه من قوله صلى الله عليه وسلم: (الغزو ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل).

وما استفاض عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة).

إلى غير ذلك من النصوص التي اتفق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء أبرارهم وفجارهم بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين عن السنة والجماعة.

هذا مع إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه: (سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم فليس مني ولست منه، ولا يرد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد علي الحوض)، فإذا أحاط المرء علما بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلى يوم القيامة وبما نهى عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم علم أن الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض جهاد من يستحق الجهاد كهؤلاء القوم المسؤول عنهم مع كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم، إذا لم يكن جهادهم كذلك، واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله بل يطيعهم في طاعة الله، ولا يطيعهم في معصية الله إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق " . أ هـ

السبب الخامس/ سوء التربية من قبل المربين الدعاة

والمربون هم الدعويين المشرفين على تجمعات الشباب المجاهد كالدورات الشرعية أو المعسكرات العسكرية، أو غيرها

وللخطأ في التربية جوانب متعددة فمنها:

- عدم مراعاة الجانب الوجداني في الشخص وعدم الحرص على تقوية إيمانه وربطه بالله سبحانه وتعالى بل نراه(أي المربي) يكثر من المزاح معهم والإكثار من جلب ما يؤنسه كأشرطة الأناشيد مثلاً والنكت والطرائف مما يجعل الشخص يتربى على ذلك فينسى الجانب الوجداني الإيماني ، للأسف نجد كثيرا من الشباب المجاهد يدمن على الأناشيد الجهادية أكثر من إدمانه على القرآن تراه ليلا ونهارا يسمعها في سفره وحضره .
- عدم مراعاة الجانب العلمي في الشخص وذلك بعدم الحرص على تعليمه وتحبيبه في العلم وأهله ولا شك أن الدخول في مجال العلم طلباً وتعلماً وسيلة عظيمة من وسائل الثبات على دين الله تعالى والابتعاد عن الانتكاس.
- عدم تشجيعه وحثه على القراءة قراءة الكتب العلمية النافعة قال الله تعالى: (وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا).

قال ابن القيم رحمه الله: " وكفى بهذا شرفًا للعلم.، أن أمرَ نبيَّه أن يسأله المزيدَ منه".

قال ابن القيم رحمه الله: "وأما عُشَّاق العلم فأعظم شغفًا به وعِشْقًا له من كلِّ عاشقٍ بمعشوقه، وكثيرٌ منهم لا يَشْغَلُه عنه أجملُ صورةٍ من البشر " .

فبعض الشباب لو سألته كم كتاب قرأت لا أقول في هذا اليوم، أو الأسبوع ، أو الشهر، بل كم قرأت في هذه السنة، لكان الجواب من البعض، ولا صفحة فضلاً عن كتاب، وقد سألت ووجدت مثل هذه الأجوبة .

بل أحياناً وللأسف الشديد تجد الجواب ربما ممن هو محسوب على الدعوة .

- عدم مراعاة الجانب الخُلقي في الشخص وذلك بأنه لا يحرص على تحسين وتهذيب خلق هذا الشخص الجديد فينشأ سيئ الخلق ولا شك أن سوء الخلق قد يوصل الشخص إلى الانتكاس.

مع أنه يجب عليك نقد النفس إذا ارتكبت أخلاقاً ذميمة، وحَمْلِها على ألا تعود إلى تلك الأخلاق مرة أخرى، مع أخذها بمبدأ الثواب إذا أحسنت، وأخذها بمبدأ العقاب إذا توانت وقَصَّرَتْ.

فإذا أحسنت أراحها، وأجَمَّها، وأرسلها على سجيتها بعض الوقت في المباح.

وإذا أساءت وقَصَّرَتْ أخذها بالحزم والجد، وحرمها من بعض ما تريد.

قال ابن المقفَّع: ليحسن تعاهدُك نَفسَك بما تكون به للخير أهلاً، فإنك إن فعلت ذلك أتاك الخير يطلبك كما يطلب الماء السيل إلى الحدورة .

- عدم التدرج مع الشخص الملتزم حديثاً التدرج المطلوب وربما يعامله بالشدة التي تنفر هذا الشخص وربما يربيه على التساهل وعدم الانضباط وهذه أيضاً وسيلة للانتكاس.

السبب السادس/ عدم طرح موضوع الانتكاسة على الشباب المجاهد

إن معرفة الشر وسيلة لاجتنابه كما قيل:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه   ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وحذيفة رضي الله عنه قال : (كان الناس يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني) متفق عليه .

وكما قيل : الضد يظهر حسنه الضد   وبضدها تتميز الأشياء

وقال الفاروق عمر رضي الله عنه: إنما تنقض عرى الإسلام عروةً عَروة من أناس نشأوا في الإسلام ، لا يعرفون الجاهلية .

حين بلغ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّ رجلاً يقال له: صبيغ بن عسْل قدم المدينة وكان يسأل عن متشابه القرآن ، بعث إليه عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه . وقد أعد له عراجين النخل، فلما دخل عليه وجلس قال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ. قال عمر: وأنا عبد الله عمر، وأومأ عليه، فجعل يضربه بتلك العراجين؛

فما زال يضربه حتى شجه، وجعل الدم يسيل عن وجهه، قال: حسبُك يا أمير المؤمنين! فقد والله ذهب الذي أجد في رأسي» أخرجه الآجرّي في الشريعة .

فالدفع أسهل من الرفع فضربه قبل أن يبث سمومه حتى أخرج السموم التي في رأسه.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى تحت عنوان قاعدة جلية : " قال تعالى: { وَكَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} وقال تعالى {وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى ، وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى ، وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً} الآية ، والله تعالى قد بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة ، وسبيل المجرمين مفصلة ، وعاقبة هؤلاء مفصلة ، وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء ، وأولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء ، وخذلانه لهؤلاء وتوفيقه لهؤلاء ، والأسباب التي وفق بها هؤلاء والأسباب التي خذل بها هؤلاء ، وجلّى سبحانه الأمرين في كتابه ، وكشفهما وأوضحهما وبينهما غاية البيان ، حتى شاهدتهما البصائر كمشاهدة الأبصار للضياء والظلام .

فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية ، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية ، فاستبانت لهم السبيلان ، كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده ، والطريق الموصلة إلى الهلكة .

فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس ، وأنصحهم لهم ، وهم الأدلاء الهداة ، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة ، فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبيل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة ثم جاءهم

الرسول صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من تلك الظلامات إلى سبيل الهدى وصراط الله المستقيم ، فخرجوا من الظلمة الشديدة إلى النور التام ، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الجهل إلى العلم ومن الغي إلى الرشاد ، ومن الظلم إلى العدل ، ومن الحيرة والعمى إلى الهدى والبصائر ، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به ، ومقدار ما كانوا فيه ، فإن الضد يظهر حسن الضد ، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها ، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه ، ونفرة وبغضاً لما انتقلوا عنه ، وكانوا أحب الناس في التوحيد والإيمان والإسلام ، وابغض الناس في ضده ، عالمين بالسبيل على التفصيل، وأما من جاء بعد الصحابة ، فمنهم من نشأ في الإسلام غير عالم تفصيل ضده فالتبس عليه بعض تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين ، فإن اللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما ، كما قال عمر ابن الخطاب ، إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية ، وهذا كمال علم عمر رضي الله عنه .

فمن لم يعرف سبيل المجرمين ولم تستبين له ، أوشك أن يظن بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين ، كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل هي من سبيل المجرمين والكفار وأعداء الرسل ، أدخلها من لم يعرف أنها من سبيلهم في سبل المؤمنين ودعا إليها وكفّر من خالفها واستحل ما حرمه الله ورسوله كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهمية والقدرية والخوارج والروافض وأشباههم ممن ابتدع بدعة ودعا إليها وكفّر من خالفها " أ هـ .

السبب السابع / العزلة عن الشباب المجاهد

الأصل في حياة المسلم الخلطة والاجتماع والتعاون، لإقامة الخير، قال الله تعالى: { وتعاونوا على البر والتقوى } وقال صلى الله عليه وسلم : (المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) رواه الترمذي وصححه الألباني.

والأذى المقصود في الحديث لا يختص بالأذى النفسي والجسدي الذي يقع على الإنسان في دنياه، وإنما يدخل فيه الأذى الديني، أي إضرارُهم بحالة الإنسان الدينية، وفتنته عن دينه أو عن طاعته، وقد أشارت نصوص أخرى إلى هذا المعنى بأن الإنسان يفر من الخلق فراراً بدينه من الفتنة.

وقد أدرك سلف الأمة ذلك، فلزموا الجماعة، ورغبوا فيها، وأكدوا عليها ، فقد ذكر الخطابي عن وهيب بن الورد قال :" قلت لوهب بن منبه : إني أريد أن أعتزل الناس ، فقال لي : (لا بد لك من الناس وللناس منك ؛ لك إليهم حوائج ، ولهم إليك حوائج ، ولكن كن فيهم أصم سميعا أعمى بصيرا سكوتا نطوقا) .

وقد كان السلف الصالح لا يراهنون على إخوانهم أبداً حتى وصل بهم الأمرُ أن يقرنوهم بالصلاة في أهميتها وعظمها.

عن محمد بن واسع قال :(ما بقي في الدنيا شيءٌ ألذُّ به إلا الصلاةَ جماعة ولقيا الإخوان) .

وقال الحسن البصري : (لم يبق من العيش إلا ثلاثٌ: أخٌ لك تصيب من عشرته خيراً، فإن زغت عن الطريق قومك، وكفافٌ من عيش ليس لأحد عليك فيه تبعة، وصلاةٌ في جمع تُكفى سهوَها، وتستوجب أجرَها) .

وقال الحسن البصري عن المؤمن: (هو مرآةٌ، إن رأى منه ما لا يعجبه: سدده وقومه ووجهه، وحاطه في السر والعلانية) .

ويقول علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: (كدر الجماعة خير من صفو الفرد).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد :" فهي الداء العضال الجالب لكل شر ، وكم سلبت المخالطة و المعاشرة من نعمة وكم زرعت من عداوة وكم غرست في القلب من حزازات تزول الجبال الراسيات وهي في القلوب لا تزول ففي فضول المخالطة خسارة الدنيا والآخرة وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينهما دخل عليه الشر .

أحدها :من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في اليوم والليلة ، فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام . وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر ، وهم العلماء بالله وأمره ومكايد عدوه ، وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون لله ولرسوله ولخلقه ، فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كل الربح "... أ هـ

ومهما أراد الإنسان أن يعتزل الناس فإنه لا يستطيع العزلة الكلية، فحاجته إلى غيره تدفعه إلى الخلطة ولو قليلاً، فالله تعالى قد أَحْوَجَ الناسَ إلى بعضهم وسَخَّرهم لخدمة بعضهم، قال تعالى: { نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا } .

ولا تجوز العزلة التامة الكاملة، لما فيها من تضييع الحقوق، كحقوق الإنفاق على الأهل والقرابة، ولما فيها من فوات بعض الواجبات والسنن، كصلة الرحم وعون المسلمين وحضور صلوات الجماعة.

والواجب الشرعي أن نعيش وفق أمر الله، فحيثما كان أمر الشرع يقتضي الخلطة فهي الأفضل، وحيثما كان أمر الشرع يقتضي العزلة فهي الأفضل، وبذلك تكون الخلطةُ والعزلةُ تؤديان مقصداً شرعياً صحيحاً، وأثراً طيباً في تزكية النفس.

ولكن هذا لا يعني أن يجعل كل وقته مع الناس، بل لا بد للمؤمن أن يجعل في كل يوم وقتاً يختلي فيه بربه، قال صلى الله عليه وسلم ذاكراً من السبعة الذين يظلهم الله في ظله: « ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » فحثنا في هذا على الخَلوة في ذكر الله، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خلوته السنوية باعتكافه العشرَ الأواخر من رمضان، حيث كان يصلي مع الناس ولا يكاد يكلمهم ولا ينشغل بهم عن اعتكافه ، ولقد أمر الله نبيه بالانقطاع إلى الله في قوله: { وتبتل إليه تبتيلاً } أي انقطع إليه انقطاعاً، وإذا كان الانقطاع يمكن أن يكون انقطاعاً قلبياً دون الانقطاع الجسدي، فإن المبتدئ في طريق التزكية لا يستطيع أن ينقطع بقلبه عن الناس إلا مع

الانقطاع الجسدي، فلزمه أن يعطي ذلك شيئاً كثيراً من وقته، فإنه ينتفع بذلك كثيراً.

السبب الثامن/ التوسع في قضية الأمنيات

فبعض الشباب المجاهد يتوسع في هذا الباب ربما بدأ بالتخزين ثم يدمن عليه من باب الأمنيات، وهكذا يشرب السجائر ويحلق لحيته ويلبس البنطال والتوسع الغير مرضي .

وكم من أخ انحرف بسبب هذه الأمنيات والتوسع منها .

"فإن الإسراف أو الإفراط في جانب الأخذ بالإجراءات الأمنية قد يُؤدي إلى محظورات أو محذورات شرعية أو تكتيكية، ونستطيع أن نقول: لا يجوز القيام بإجراءات محرمة خاصة إذا توفرت المباحة شرعاً أو المكروهة، والقيام بالمحرم كحلق اللحية إنما هو من باب أخف الضررين؛ فإنقاذ إخوتنا في بقاع الأرض فرض لازم، ولا يتم إلا بالإعداد، لكن الوصول إلى أرض الإعداد يتطلب حلق اللحية.. وهكذا.

- ويَحْسُن أن نسرد أمثلة لتتضح الفكرة، وليقيس عليها الإخوة لتَجَنُّب الوقوع فيها.

1- حلق اللحية معروف الحكم في الإسلام، والإخوة المجاهدون يضطرون إلى حلقها لأن أعداء الله صاروا يَعُدُّون إطلاق اللحية علامةً فارقة وكافية لاتهام الشخص وزَجِّه في غياهب السجون؛ فجاز في الشرع حلقها من باب "الضرورات تُبيح المحظورات" بشرط أن تكون الضرورة يقينية أو شبه يقينية لا وهمية؛ وذلك بناء على التأصيل الذي ذكرناه منذ قليل.

- ولكن الإسراف الذي يَحْصُل أن يَسترسل الأخ في حلقها حتى تصير عادةً له مثله مثل أهل الدنيا، واللائق بالمجاهد الملتزم أن لا ينسى أن الضرورة تُقَدَّر بقَدَرِها، فلو كان يكفي حلقها كل 3 أيام فلا يجوز له أن يحلقها كل يومين.

- وإذا كان تخفيفها يكفي فلا معنى للتشبه بشعارات بعض الملحدين بأن يَحلقوا لحاهم ويتركوا منها قسماً مما يسمى في بعض البلدان "سكسوكة".

- واللائق أيضاً بالملتزم أن يحاول أن يستحضر قلبياً التذلل بين يدي رب العالمين في كل مرة يحلق، ولسان حاله: "يا رب إنما أحلقها ضرورة لا كرهاً لسنة الأنبياء"، وهكذا في كل مرة حتى لا يستمرئها بعد حين دون أن يشعر. [نعود وننبه أن هذا الحلق عند الضرورة وليس كما يفعله كثير من الناس ممن لم يَخْرج من أرض بلده، ولم يَحْتَكَّ بالمجاهدين وهو لا يجيد في أحسن أحواله إلا جهاد الكلمة، ثم تراهم يحلقون لحاهم بحجةٍ ظاهرية ليُسكتوا المعترضين عليهم ألا وهي: إجراء أمني!! وقد يخدعوننا بحجتهم ولكنْ هيهات أن يخدعوا ربنا تعالى].

2- ووضع "العلكة" في الفم قد يلزم أثناء عبور الحدود بين بلدين فلا ضير منه، وإن كان اللائق بالملتزم أن لا يديم وضعها في فمه كالنساء والفاسقين.

3- وحمل "سيجارة" في اليد إبعاداً للتهمة في مكان ما، أو حمل مجلة داعرة، أو ما شابهها من التصرفات هذا فيه وِقفة.

- فإن كان حمل السيجارة مما لا بد منه، فإن كان يكفي أن يمسكها في يده فلا معنى للاسترسال وإشعالها، وإن كان يكفي استنشاقة واحدة فلا معنى لاثنتين، وهذا من باب رشفة الخمر إن كانت واحدة تكفي لأنقاذ حياة المختنق فلا يجوز اثنتان وهكذا. [كل هذا بناء على القول بحظر التدخين].

4- وإن كان حمل "سيجارة" يكفي لإبعاد التهمة أمام المخابرات عن الأخ فلا معنى لشرائه مجلة خليعة.

5- وإن كان حمل سلسال ذهبي في يده يكفي لإبعاد التهمة فلا معنى للبسه في رقبته أو يده، وهكذا.

6- وإن كان الكلام عن الطبخ وأنواع المأكولات يكفي فلا معنى للاسترسال في السباب والكلام البذيء أمامهم بحجة إبعاد الشبهة، فالاسترسال في التمويه حتى حدود المحظور مرفوض؛ كمن يخرج ويتكلم عن الخمر والداعرات للتمويه على الجلسة؛ وذلك أن الضرورات تُقَدَّر بقَدَرِها في شرعنا، فإن كان يَكْفي الحديث عن الطعام والشراب فلا داعيَ أن تتكلم عن مباراة وهمية كنتَ تشاهدها، وهكذا.[2]

---

[2] (الموسوعة الأمنية)

السبب التاسع / التوسع في المباحات

أدرك سلف الأمة ما يصنعه السرف والتوسع في المباحات بصاحبه ، فحذروا منه.

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها الشبع، فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم ، فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم) .

يقول أبو سلمان الداراني : (من شبع دخل عليه ست آفات : فقد حلاوة المناجاة ، وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات ، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد ، والشباع يدورون حول المزابل).

ويرشد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تلميذة إلى ترك التوسع في المباحات، يقول ابن القيم : قال لي يوماً شيخ الإسلام في شيء من المباح: هذا ينافي المراتب العليا، وإن لم يكن تركه شرطاً في النجاة أي: أن التوسع في المباحات جائز، لكن تركها أولى؛ لأنها تصرف العبد عن الانشغال بما هو أهم وأفضل .

أفرط بعض الشباب المجاهد في الأخذ بالمباحات والاسترسال في التنعم الزائد والرفاهية ،والمبالغة في لبس الغالي والنفيس من الثياب، فتأنثت طباعهم وتبلدت أحاسيسهم ولان دينهم ، وانشغل بالتأنق في ملبسه ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم " البذاذة من الإيمان " ، أي التقشف والتواضع في اللباس وترك الافتخار به،

ولم يأخذوا بوصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " وإياكم والتنعم ، وزي العجم وتمعددوا واخشوشنوا " .

فقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء المتقين متورعين عن الإسراف في المباحات ، فتركوا الترفه في المطعم والمشرب والمركب والمسكن ، والتوسع في المباحات قد يكون مورثاً للأخلاق السيئة ، وترك الخصال الحميدة ، لذلك قال القاضي عياض رحمه الله : " جُعل الشرُّ كله في بيت ، وجُعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت ، وجعل مفتاحه الزهد " .

وقال الكتاني الصوفي : (الشيء الذي لم يخالف فيه كوفي ولا مدني ، ولا عراقي ولا شامي ، الزهد في الدنيا ، وسخاوة النفس ، والنصيحة للخلق) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطنه) رواه الترمذي فإن المعدة إذا امتلأت نامت الفكرة. وقعدت الجوارح عن الخدمة.

يقول الإمام الغزالي: " كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول: لا تأكلوا كثيرًا؛ فتشربوا كثيرًا، فترقدوا كثيرًا، فتتحسروا عند الموت كثيرًا " . أ هـ

يقول عمر رضي الله تعالى عنه: "إياكم والبطنة في الطعام والشراب، فإنها مفسدة للجسد، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما؛ فانه أصلح للجسد، وأبعد من السرف، وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين، وإنّ الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه " .

بعض المجاهدين يدخل بيوت الناس يرى فيها تزويقاً فيريد أن يجعل ذلك في بيته، وعند فلان مزخرفات يريد أن يجعل ذلك في بيته، وزوجته تدخل بيوت نساء العامة، وتجد عندهن نجفاً وتحفاً فتطلب مثل ذلك في بيتها وهو يستجيب، أتى النبي صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يدخل عليها، وجاء عليٌ فذكرت له ذلك، فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم وقال: لماذا لم تدخل إلى بيتنا يا رسول الله؟ قال: (إني رأيت على بابها ستراً موشياً؛ ثم قال: مالي وللدنيا! فأتاها عليٌ فذكر لها ذلك، فقالت: يأمرني فيه بما شاء قال: ترسل به إلى فلان أهل بيتٍ بهم حاجة) فقد لا يكون محرماً ولو كان محرماً لما جاز أن تعطيه إلى غيرها، لكنه عليه الصلاة والسلام لا يرضى بهذه الأشياء لأهله، ولأهل الرتب العالية، وكان بيته صلى الله عليه وسلم متواضعاً، كما قال عمر رضي الله عنه: رفعت بصري في بيته، فو الله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر غير أُهْبٍ ثلاثة، الإهاب: هو الجلد قبل الدبغ فقلت: أُدع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، وكان متكئاً فقال: (أو في شكٍ أنت يا بن الخطاب ! أولئك قومٌ عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا) فقلت: يا رسول الله! استغفر لي... الحديث، وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان على سرير مرمل يضطجع عليه حتى يؤثر في جنبه.

بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم رجع من البيت الذي كسي جداره من أجل ما فيه؛ فإنه قد جاء عن سهل بن عبد الله بن عمر : أعرست في عهد أبي، فآذن أبي الناس فكان أبو أيوب فيمن آذن، وقد ستروا بيتي بنجادٍ أخضر، فأقبل

أبو أيوب فاطلع فرآه فقال: يا عبد الله : تسترون الجدر، فقال أبي واستحيا: غلبنا النساء يا أبا أيوب فقال: من خشيت أن تغلبه النساء يعني: ما أتوقع أن يغلبنك، فرجع ولم يدخل.

فإذن يوجد هناك توسع في المباحات وبعض المجاهدين إذا دخلت بيته ظننت أنك أخطأت الطريق، هل هذا بيت وزير أم بيت أمير أم بيت تاجر كبير، لما ترى من البذخ والاسراف وربما بعضها غلولا غلها في طريق الجهاد، بعضهم يسلم نفسه للطواغيت والعياذ بالله من أجل الأثاث الذي تركه ، في الأمس كان ينام على غرفة نوم تباع بالملايين واليوم ينام تحت شجرة أو في كهف أو عش صغير فلا يصبر ثم يُسلم ، أسأل الله الثبات .

ولا يفهم من ذلك أننا نحرم ما أحله الله، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل ، وكان يستعذب له الماء ، ويتطيب بالمسك ، ولكننا نقصد المبالغة في الترفه ، والاهتمام الزائد بالمظهر .

من التوسع في المباحات بل في المكروهات السهر : السهر مخالفة للسنة الإلهية :

يقول الله تعالى :{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا }.

ويقول سبحانه : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا } .

فالله تعالى جعل الليل سكنا ولباسا يغشى العالم فتسكن فيه الحركات، وتأوي الحيوانات إلى بيوتها ، والطير إلى أوكارها ، وتستجم فيه النفوس وتستريح من كدِّ

السعي والتعب ، حتى إذا أخذت منه النفوس راحتها وسباتها وتطلعت إلى معايشها وتصرفها ، جاء فالق الإصباح ـ سبحانه وتعالى ـ بالنهار . فانتشر الحيوان وتصرف في معاشه ومصالحه وخرجت الطيور من أوكارها .

فلماذا أنت أيها المسلم المجاهد تخالف هذه السنة الربانية والحكمة الإلهية ؟

يقول الدكتور فهد الخضيري :" أكدت الدراسات والبحوث أن السهر من أقوى العوامل المؤثرة على الجهاز المناعي والمثبطة لنشاط ذاكرة الجسم المناعية وحركة خلايا الجهاز المناعي . وقد ثبت أيضا : أن السهر يعوق طرفيات الجهاز العصبي وخلايا الإحساس من أداء عملها بشكل فعال وللسهر تأثير سلبي حاد على الجهاز العصبي والمخ ويتسبب السهر في فقدان التركيز وضعف الذاكرة وبطء الاستجابة العصبية ... وينصح من يريد الإبداع والإنتاج وزيادة القدرة العقلية والجسدية بالنوم مبكرا بعد العشاء بساعة والاستيقاظ مبكرا لكي تنتظم حياته وتستقر صحته " أ هـ .

من التوسع في المباحات التوسع في الأناشيد الجهادية :

قال الشيخ أبو يحي الليبي :" والتفرغ لطلب العلم ، فما دام الله فتح لك هذا الباب فتوكل على الله وواصل هذا الطريق بما تستطيع، بدلًا من أن تقضي جزءاً من يومك أو من عمرك في سماع الأناشيد التي لا تسمن ولا تغني من جوع فاقضها في سماع محاضرةٍ أو درسٍ أو سماع شريط للفتاوى أو مراجعة لدروسك أو مدارسة مع أحد زملائك وإذا تيسرت دورة أخرى بإذن الله حاول أن تجتهد في أن تكون فيها لأن

العلم إنما يُؤتى بالدرجات ولا يُؤتى العلم يومًا واحدًا ولا دفعةً واحدة {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ} " أ هـ .

وقال الشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني رحمه الله :" إذا كانت هذه الأناشيد ذات معانٍ إسلامية ، و ليس معها شيء من المعازف و آلات الطرب كالدفوف و الطبول و نحوِها ، فهذا أمرٌ لا بأس به ، و لكن لابد من بيان شرطٍ مهم لجوازها ، و هو أن تكون خالية من المخالفات الشرعية ؛ كالغلوّ ، و نَحوِه ، ثم شرط آخر ، و هو عدم اتخاذها دَيدَناً ، إذ ذلك يصرِفُ سامعيها عن قراءة القرآن الذي وَرَدَ الحضُّ عليه في السُنَّة النبوية المطهرة ، و كذلك يصرِفُهُم عن طلب العلم النافع ، و الدعوة إلى الله سبحانه " أ هـ . [3]

من التوسع في المباحات التوسع في كَثْرَةِ النَّوْمِ :

آفَاتِ كَثْرَةِ النَّوْمِ

قَالَ فِي شَرْحِ أَوْرَادِ أَبِي دَاوُد :" وَأَمَّا كَثْرَةُ النَّوْمِ فَلَهُ آفَاتٌ : مِنْهَا أَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى الْفُسُولَةِ وَالضَّعْفِ وَعَدَمِ الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ ، مُسَبِّبٌ لِلْكَسَلِ وَعَادَةِ الْعَجْزِ وَتَضْيِيعِ الْعُمْرِ فِي غَيْرِ نَفْعٍ وَقَسَاوَةِ الْقَلْبِ وَغَفْلَتِهِ وَمَوْتِهِ ، وَالشَّاهِدُ عَلَى هَذَا مَا يُعْلَمُ ضَرُورَةً وَيُوجَدُ مُشَاهَدَةً وَيُنْقَلُ مُتَوَاتِرًا مِنْ كَلَامِ الْأُمَمِ وَالْحُكَمَاءِ السَّالِفِينَ وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ

[3] [العدد الثاني من مجلة الأصالة ، الصادر بتاريخ 15 جمادى الآخرة 1413هـ ، ص : 73] .

وَصَحِيحِ الْأَحَادِيثِ وَآثَارِ مَنْ سَلَفَ وَخَلَفَ مِمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَى الِاسْتِشْهَادِ عَلَيْهِ اخْتِصَارًا وَاقْتِصَارًا عَلَى شُهْرَتِهِ . انْتَهَى .

السبب العاشر/ الحماس الزائد غير المضبوط بضوابط معينة

حماس وثورة لمدة معينة، ثم ينطفئ كسعف النخل إذا أشعلته رأيت له نارا تلظى، ولكن سرعان ما تنطفيء، وتخمد، ويذهب هذا الضوء، وهكذا سرعان ما ينتكس من يريد الشيء بسرعة كبيرة بعد أن يلتزم، يريد أن يحقق كل شيء بسرعة، وقد يصل به هذا إلى الغلو، ومن ثم التقصير؛ لأنه سيتعب، ويكل، ويمل، ثم بعد ذلك سينتكس نسأل الله العافية .

ومع ذلك فإنَّ لكل عمل شَرَهْ ولكل شَرَه فَتْرَة؛ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لكلِّ عملٍ شِرَّة ، ولكل شِرَّة فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك " .[4]

قال الله تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ }

---

[4] رواه ابن حبان وصححه الألباني

غلا اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم ، وغلا النصارى فيه حتى جعلوه ربا ، فالإفراط والتقصير كله سيئة وقد يصل إلى الكفر ، ولذلك قال مطرف بن عبد الله الشخير : الحسنه بين سيئتين . وقال الشاعر :

لا تغل في شيء من الأمر واقتصد   كلا طرفي قصد الأمور ذميم[5]

قال الفاروق عمر رضي الله عنه: (إنَّ لهذه القلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فخذوها بالنوافل، وإن أدبرت فألزموها الفرائض).

فالنبي صلى الله عليه وسلم حذر من الخوارج، وقال في الصحيحين لرجل اسمه حرقوص دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ثم ولى، فقال صلى الله عليه وسلم: (يخرج من ضئضئ هذا أقوام تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم، وعبادتكم إلى عبادتهم، وأخبر أنهم يخرجون من الدين ينسلخون من الإسلام كما يخرج السهم من الرمية) .

الاعتدال والوسطية، هي الدين؛ لأن الله تعالى يقول: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً } أمة مُحَمَّد هي أمة الوسطية والاعتدال، وعدم الغلو وعدم المجافاة وعدم التراخي والضعف وإنما على الكتاب والسنة، تؤدي صلاتك كما أداها النبي صلى الله عليه وسلم، تصوم كما صام النبي صلى الله عليه وسلم، تؤدي زكاتك كما أداها النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لا تزيد عما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الصحيحين : (أن ثلاثة نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه

[5] (تفسير القرطبي)

وسلم جاءوا إلى أزواج رسول الله، وسألوا عن عبادته فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها، فقام أحدهم وقال: أما أنا فلا أنام الليل، وقال الثاني: وأنا لا أفطر الدهر، وقال الثالث: وأنا لا أتزوج النساء -أتبتل- فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بخبرهم نادى بالصلاة جامعة وقال: ما بال أقوام يقولون ويقولون ويقولون، أما والله إني لأعلمكم بالله وأخشاكم له وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني).

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند : (إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين) وفي صحيح مسلم يقول عليه الصلاة والسلام: (هلك المتنطعون) يعني: المتشددون على أنفسهم بغير دليل شرعي.

أيضاً يقول عليه الصلاة والسلام والحديث في سنن أبي داود (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، وإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع) هؤلاء الرهبان شددوا وابتدعوا، قال تعالى: { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَاكَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ } ما كتبها الله عليهم ولكنهم هم الذين ابتدعوها وترهبوا، ويظنون أنها دين وليست بدين، وفي صحيح البخاري يقول عليه الصلاة والسلام: (إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه) .

وكان يقول عليه الصلاة والسلام: (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا) (وما خيِّرَ صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً) .

قال ابن القيم رحمه الله : " تخلل الفترات للسالكين أمر لا بد منه ، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد ، ولم تخرجه من فرض ، ولم تدخله في محرم ، رُجي له أن يعود خيراً مما كان " أ هـ .

إن الغلوَّ صفةٌ مرذولةٌ مذمومةٌ ، تأباها الطباع المستقيمة ، وتمجها العقول السليمة ؛ فكيف والشرع قد ذمَّ الغلو وعاب أهله بغضِّ النظر عن موضوع الغلو ومجاله ؛ فالغلو في تعظيم من يستحق التعظيم والتوقير قد يوصل إلى الشرك ، بل كثير من صور الشرك هي نتيجة للغلو في هذا الباب .

من مظاهر الغلو، التسليم بصحة كل ما يقوله القائد أو العالم أو الجماعة فيعتقد فيهم العصمة بلسان الحال لا بلسان المقال وأحيانا بلسان المقال ، فحين يخالفهم أحد في اجتهاد أو رأي ، أو حين يناقش قولاً لهم يشنون عليه حرباً شعواء ، ويتهمونه بانتقاص أهل العلم وازدرائهم أو بالانحراف.

كذلك من مظاهره، القطع بما لا يجوز القطع به ، كقول بعضهم : انتقل إلى الرفيق الأعلى ، أو إن فلاناً من أولياء الله وإن لم يكن ولياً فلا أعلم لله ولياً ، أو إن الله أحب فلاناً فأحبه الناس ، ومنهج أهل السنة الاعتدال في الثناء على الرجال ؛ فليقل من يثني عليهم : إن فلاناً نحسبه والله حسيبه من أولياء الله ، ونرجو أن يكون ممن أحبه الله فأحبه الناس .

وسوف أعطيك مثالاً عصرياً من أستاذة الغلو ، يقول العدناني رأس الغلاة :(وما أدراكم من أبو بكر؟! إن كنتم تتساءلون عنه فإنه حسيني قرشي من سلالة آل

البيت الأطهار ، عالم عامل عابد مجاهد.. ، حري به أن يُتقرّب إلى الله بالغسل عن قدميه ، وتقبيلها ، ودعوته أمير المؤمنين ، وفدائه بالمال والنفس والولد ، والله على ما شهدت شهيد) [6] .

(وما أدراكم من أبو بكر؟! إن كنتم تتساءلون عنه فإنه: حسيني قرشي من سلالة آل البيت الأطهار ، عالم عامل عابد مجاهد ، رأيت فيه عقيدة وجلد وإقدام وطموح أبي مصعب ، مع حلم وعدل ورشد وتواضع أبي عمر ، مع ذكاء ودهاء وإصرار وصبر أبي حمزة ، وقد عركته المحن وصقلته الفتن ، فِي ثماني سنين جهادٍ يستقي من تلك البحار ، حتى غدا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب ، ... والله على ما شهدت شهيد.. ، وإني لأحسب أنّ الله عز وجل قد اختاره وحفظه وادّخره لهَذه الأيام العصيبة ، فهنيئا لكم يا أبناء الدولة بأبي بكر)[7] .

كذلك من مظاهره، الاعتقاد بأن الدين سيأفل نجمه بموت هؤلاء وانصرافهم ؛ مع أن فقد أهل العلم ثلمة لا تسد ، وأن ذلك من علامات رفع العلم إلا أن الخير باق في الأمة ، وقد فقدت الأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبقي الدين محفوظاً قائماً ، ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله .

[6] أبو محمد العدناني ، بيان بعنوان: إن دولة الإسلام باقية ، مؤسسة الفرقان ، الدقيقة: 49

[7] أبو محمد العدناني ، بيان بعنوان: إن دولة الإسلام باقية ، مؤسسة الفرقان ، الدقيقة: 49

السبب الحادي عشر / استعجال قطف الثمرة

قال سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام: { وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ } .

لكن انتظر حتى يصلك القرآن، وحتى تتثبت مما يقال لك، قال سبحانه وتعالى: { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ }.

قال سيد قطب رحمه الله تحت قوله تعالى : «فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» ..

" ألا إنه لطريق شاق طريق هذه الدعوة. وطريق مرير. حتى لتحتاج نفس كنفس مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم في تجردها وانقطاعها للدعوة، وفي ثباتها وصلابتها، وفي صفائها وشفافيتها. تحتاج إلى التوجيه الرباني بالصبر وعدم الاستعجال على خصوم الدعوة المتعنتين.

نعم. وإن مشقة هذا الطريق لتحتاج إلى مواساة، وإن صعوبته لتحتاج إلى صبر. وإن مرارته لتحتاج إلى جرعة حلوة من رحيق العطف الإلهي المختوم ".

لا تستعجل النتيجة، ولا تقطف الثمرة الآن، اصبر إلى ميقات محدد وأجل مسمى، لتنال أجرك ومثوبتك وثمرتك من الدعوة، قال سبحانه وتعالى: { لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ }، أي لتعجل بالقرآن، قال سبحانه وتعالى: { وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ }، لأنه للتربية .

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رضي الله عنه قَالَ شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، فَقُلْنَا : أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا ؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا ؟ ، فَقَالَ : " قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ " متفق عليه.

احذروا كل الحذر من التعجل في طلب النصر ، والتسرع في قطف الثمرة فليس بشرط أن نرى النصر بأعيننا ولكن لنغرس في نفوسنا العمل لنيله وطلبه، فالنصر لا يأتي مباشرة إلا إذا سبقته عدة مراحل كانت معينة على تحصيله .

لا ينبغي أن نملَّ الطريق ، فيحملنا ذلك على الانتكاسة ، والبحث عن الحلول المجتزأة والملتوية الباطلة! وأحياناً يوصلنا للتسليم للطواغيت .

من الأنبياء من لا يؤمن به ويتبعه إلا الرجل الواحد، ومنهم من يتبعه الرجلان، والثلاثة ، ومنهم من لا يتبعه أحد .

فما كان ذلك يحملهم، حاشاهم! على ترك الدعوة والجهاد والطريق والتماس الطرق الملتوية .. تحت زعم وشعور استعجال النصر والتمكين ..!

المهم أن نعمل لخدمة هذا الدين ونصرته ، ولا ضير عدم رؤية النصر .

قال الشيخ أبو قتادة حفظه الله : " النّصر الكبير الضّخم هو مجموعة من سلسلة انتصارات صغيرة، ولا يمكن أن يقع شيء في مجال النّصر والهزيمة بصورة طفرةً مفاجئة تباغت المنتصر أو المهزوم، (إذ الطّفرة التي لا مقدّمة لها لا وجود لها إلاّ في عقول مشايخنا وقادتنا فقط)، فإنّهم يحملون في كلّ ما يقولون ويرتّبون لضربة يحضّر لها تحضيراً تامّاً وكاملاً، بعيداً عن أعين الخصوم وبهذه الضّربة المفاجئة المباغتة نقضي فيها على الخصوم، وبها نتجنّب الكثير من الدّماء التي تراق، والأرواح التي تزهق، ومشايخنا يدندنون على هذه الفكرة كثيراً، وعلى ضوئها يتراجعون عن الصّراع تحت شعارات التّربية والإعداد، وهذه الفكرة تجد صدىً وقبولاً في النّفوس، لأنّها جميلة جدّاً، ورائعة جداً، ووردية جدّاً، وهي مع ذلك كلّه هشّة جداً جداً " أ هـ .

يقول الله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ} . انتصر هؤلاء الأبطال وإن كانوا قد حرقوا ، بعد أن خدت لهم الأخاديد، الانتصار هنا في حقهم، انتصروا بعلو إيمانهم ورسوخ عقيدتهم وقوة ثباتهم ، ولهذا سمى الله هذا النصر بقوله :{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ}.

و نصر الله لابد أن يأتي وليس على الله بصعب أن ينزل الظفر والفوز على المسلمين، ولكن لله حِكمٌ من تأخير النصر، ومن أعظمها أن يريد أن يبتلي عباده ليرى قوة إيمانهم ، وشدة ثباتهم على ذلك فإذا حصل هذا فإنَّ نصر الله آت {ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض} .

قال صاحب العمدة : "والاستعجال يفسد أكثر مما يصلح، ومن تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، والتعجل علة الحرمان، وهذه قاعدة فقهية، ألا ترى إنك إذا قطفت ثمرة غير ناضجة فلا أنت انتفعت بها ولا أنت تركتها حتى تنضج وتنتفع بها... إن الاستعجال يفتح بابا للشيطان ليدفع بالعبد إلى التنازل التدريجي عمّا هو عليه من الحق ظنا منه أنه يختصر الطريق وهو قد ضل الطريق وحاد عنه... إن هذا التنازل وهذه الحيدة عن الحق عادة ما تغلّف بما يواري السوأة كالقول بأن هذا من الحكمة والسياسة ومصلحة الدّعوة فينبغي أن يعلم المسلم أن اتباع الحق والصبر عليه هو أقصر طريق إلى النصر وإن طال الطريق وكثرت عقباته وقلّ سالكوه وإن الحيدة عن الحق لا يأتي إلاّ بالخذلان وإن سهل طريقها وخيّل لسالكيها قرب الظفر فإنما هي أوهام" أ هـ .

السبب الثاني عشر / ذنوب الخلوات

في حديث ثوبان ﷺ قال: «لأعلمنّ أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسناتٍ أمثال جبال تهامة بيضاً فيجعلها الله عز وجل هباء منثوراً، قال ثوبان: يا رسول الله! صِفهم لنا، جَلِّهم لنا، أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها» .

قال الشيخ محمّد ناصر الدين الألباني رحمه الله: الذي يبدو أن (خلوا بمحارم الله) ليس معناها " سرّاً " ، وإنما : إذا سنحت لهم الفرصة انتهكوا المحارم ، فـ " خلَوا " ليس معناها " سرّاً " ، وإنما من باب " خلا لكِ الجو فبيضي واصفري "[8].

اعلم أن عينَ اللهِ تلاحقُك أين ما ذهبت، وفي أي مكان حللت، في ظلامِ الليل، وراء الجدران، وراء الحيطان، في الخلوات، في الجلوات .

قال أبو حازم سلمة بن دينار رحمه الله : (لا يُحْسِن عبد فيما بينه وبين الله تعالى إلا أحسن الله فيما بينه وبين العباد، ولا يُعَوِّر يفسد فيما بينه وبين الله تعالى – إلا عوَّر الله فيما بينه وبين العباد، ولَمُصَانَعَةُ وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها؛ إنك إذا صانعت الله مالت الوجوه كلُّها إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شنأتك أبغضتك الوجوه كلها).

[8] " سلسلة الهدى والنور " شريط رقم (226)

وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في صيد الخاطر:" وكم رأيت من المنتسبين الى العلم أهملوا نظر الله إليهم في الخلوات فمحا محاسن ذكرهم في الجلوات، فلا حلاوة لرؤيتهم ولا يحن أحد للقائهم، فوجودهم كعدمهم " أ هـ .

وقال أيضاً : "والحذر الحذر من الذنوب، خصوصًا ذنوب الخلوات، فإن المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه. وأصلح ما بينك وبينه في السر، وقد أصلح لك أحوال العلانية، ولا تغتر بستره أيها العاصي فربما يجذب من عورتك، ولا بحلمه فربما بغت العقاب " أ هـ .

وقال ابن القيم رحمه الله : " أجمع العارفون على أن ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات، وأن عبادات الخفاء هي أعظم أسباب الثبات .

وقال سحنون " إياك أن تكون عدوا لإبليس في العلانية صديقا له في السر " أ هـ .

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله الزواجر عن اقتراف الكبائر " الكبيرة السادسة والخمسون بعد الثلاثمائة : إظهار زي الصالحين في الملأ ، وانتهاك المحارم ، ولو صغائر في الخلوة : أخرج ابن ماجه بسند رواته ثقات عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لأعلمنَّ أقواماً مِن أمتي يأتون ...) .

لأن من كان دأبه إظهار الحسن ، وإسرار القبيح : يعظم ضرره ، وإغواؤه للمسلمين ؛ لانحلال ربقة التقوى ، والخوف ، من عنقه . " أ هـ .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : "وقد ذُكر عن الإمام أحمد رحمه الله أنه كان ينشد هذين البيتين ، إما له ، أو لغيره :

إذَا مَا خَلَوتَ الدهْرَ يَومًا فَلا تقُل خَلَوتُ وَلكن قُل عَليّ رَقيب

وَلا تَحْسَبَن الله يَغْفُل ســـــاعةً وَلا أن مَا يَخْفى عَلَيْه يَغيب " أ هـ .

قال ابن رجب رحمه الله :"خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لايطلع عليها الناس " أ هـ .

وقال بعضهم:(ذنوب الخلوات تؤدي الى الانتكاسات، وطاعة الخلوات طريق للثبات حتى الممات).

وقال ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر :" إن للخلوة تأثيراتٍ تَبيْنُ في الجلوة؛ كم من مؤمن بالله عز وجل يحترمه عند الخلوات، فيترك ما يشتهي؛ حذراً من عقابه، أو رجاءً لثوابه، أو إجلالاً له؛ فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عوداً هنديًّاً على مجمر، فيفوح طيبه، فيستنشقه الخلائق، ولا يدرون أين هو.

وعلى قدر المجاهدة في ترك ما يهوى تقوى محبتُه، أو على مقدار زيادة دفع ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب، ويتفاوت تفاوتَ العود.

فترى عيون الخلق تعظِّم هذا الشخص، وألسنتهم تمدحه، ولا يعرفون لِمَ، ولا يقدرون على وصفه؛ لبعدهم عن حقيقة معرفته.

وقد تمتد هذه الأراييح يعني الروائح - بعد الموت على قدرها؛ فمنهم من يذكر بالخير مدة مديدة ثم ينسى، ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره، وقبره، ومنهم أعلام يبقى ذكرهم أبداً.

وعلى عكس هذا من هاب الخلق، ولم يحترم خلوته بالحق فإنه على قدر مبارزته بالذنوب، وعلى مقادير تلك الذنوب - يفوح منه ريح الكراهة، فتمقته القلوب.

فإن قلَّ مقدار ما جنى قل ذكر الألسن له بالخير، وبقي مجرد تعظيمه.

وإن كثر كان قصارى الأمر سكوت الناس عنه لا يمدحونه، ولا يذمونه.

وربَّ خالٍ بذنب كان سبب وقوعه في هُوَّة شِقْوة في عيش الدنيا والآخرة، وكأنه قيل له: ابق بما آثرت؛ فيبقى أبداً في التخبيط.

فانظروا إخواني إلى المعاصي أثَّرت، وعَثَّرت.

قال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: إن العبد ليخلو بمعصية الله - تعالى - فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر.

فتلمحوا ما سطرته، واعرفوا ما ذكرته، ولا تهملوا خلواتكم ولا سرائركم؛ فإن الأعمال بالنية، والجزاء على مقدار الإخلاص ". أ هـ

السبب الثالث عشر / حب الرياسة

حُب الرياسة والجاه من أمراض القلوب، وهو من أضر غوائل النّفس وبواطن مكائدها ،بل إنّ حب الرياسة شر من حب الدنيا، ومن ثمّ قيل: (حب الرياسة أصل كل موبقة) .

ففي كعب بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما ذئبان جائعان أُرسِلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) رواه الترمذي وصححه الألباني.

قال ابن رجب في شرحه للحديث في جامع العلوم والحكم : "وأما حرص المرء على الشرف فهو أشد إهلاكاً من الحرص على المال؛ فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس والعلو في الأرض أضر على العبد من طلب المال، وضرره أعظم والزهد فيه أصعب؛ فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف" أ هـ .

هذا الداء قَلّ من يتفطّن له أوْ قُلَّ من يتخلص منه لأنه مُغْري وفي الغالب خفاؤه على صاحبه، أو لذته تنسيه محاولة التخلص .

في حديث أبي هريرة عن نبينا صلى الله عليه وسلم : (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع) .

قال ابن الجوزي :" أي أنه خامل الذكر لا يقصد السمو فأين اتفق له كان فيه "أ هـ.

وحب الرئاسة والشهرة بينما هو داء يخافه السلف على نفوسهم غاية الخوف، لعلمهم بأنه قاطع عن مطلوبهم، إذا هو في زماننا مجال منافسة ومطلب مرغوب فيه أشدّ الرغبة .

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : (خفْق النعال مفسدة لقلوب نَوْكى الرجال).

وقال الإمام سفيان الثوري في كتابه إلى عباد بن عباد :(وإياك وحب الرياسة فإن الرجل يكون حب الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء) .

وقال سفيان أيضاً :(من أحب الرياسة فَلْيُعِدّ راسه للنطاح).

يريد رحمه الله أنه يُبتلى بمن يُنافسه عليها فيكون بينه وبينه ما يكون بين المتنافسين غالباً من المنازعات والصراع لأنها مطلب قاطع عند أرباب السلوك، والواقع خير شاهد أن الزعماء نهايتهم القتل .

وقال إسحاق بن خلف رحمه الله : (والله الذي لا إله إلا هو لإزالة الجبال الرواسي أيْسر من إزالة الرياسة) .

وقال أبو نعيم رحمه الله : (والله ما هلك من هلك إلا بحب الرياسة).

وقال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله : (ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى ، وتتبع عيوب الناس ، وكره أن يذكر أحد بخير) .

وقال الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله : (الشهوة الخفية حب الرياسة) .

قال بعض السلف : (آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة) .

قال ابن تيمية رحمه الله : "أصل البغي والظلم حب الرياسة " أ هـ .

وقال أيضاً : "كثير من الناس يكون في نفسه حب الرياسة كامنٌ ، لا يشعر به ؛ بل إنه مخلص في عبادته ، وقد خفيت عليه عيوبه " أ هـ .

فمن كان محباً للرياسة تجده باحثاً عنها فإذا لم يعط مرتبة ومنزلة تجده ينتقد المجاهدين ثم يتركهم بحجج واهية ، والحجة الأقوى هي أنه لم يعطى الشهوة الخفية (إن أعطي رضي وإن لم يعطى لم يرضى) .

وقال ابن رجب رحمه الله :" ومن دقيق آفات حب الشرف طلب الولايات والحرص عليها ، وهو باب غامض لا يعرفه إلا العلماء بالله العارفون به ، المحبون له ، الذين يعادون له من جهال خلقه ، المزاحمون لربوبيته وإلهيته ، مع حقارتهم وسقوط منزلتهم عند الله وعند خواص عباده العارفين به كما قال الحسن رحمه الله فيهم : إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية في رقابهم ، أبى الله إلا أن يذل من عصاه " أ هـ.

وقال ابن القيم في الروح : " وهذا بخلاف طلب الرياسة فإن طلابها يسعون في تحصيلها لينالوا بها أغراضهم من العلو في الأرض وتعبد القلوب لهم وميلها إليهم ومساعدتهم لهم على جميع أغراضهم مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم فترتب على هذا المطلب من المفاسد مالا يعلمه إلا الله من البغي والحسد والطغيان والحقد والظلم والفتنة والحمية للنفس دون حق الله وتعظيم من حقره الله واحتقار من أكرمه الله ولا تتم الرياسة الدنيوية إلا بذلك ولا تنال إلا به وبأضعافه من المفاسد والرؤساء في عمى عن هذا فإذا كشف الغطاء تبين لهم فساد ما كانوا عليه ولا سيما إذا حشروا في صور الذر يطؤهم أهل الموقف بأرجلهم إهانة لهم وتحقيرا وتصغيرا كما صغروا أمر الله وحقروا عباده " أ هـ .

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى :

حب الرياسة داء يخلق الدنيـا ويجعل الحب حربا للمحبينا

يفري الحلاقم والأرحام يقطعها فلا مروءة يبقى لا ولا دينا

وقيل :

حب الرياسة داء لا دواء له وقل ما تجد الراضين بالقسم

قال أبو العتاهية:

أأخيّ من عشق الرئاسة خفتُ أنْ يطغى ويحدث بدعة وضلالا

السبب الرابع عشر / العُجْبُ

عرفه الإمام ابن المبارك بعبارة موجزة فقال : (أن تَرى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك) .

وقد نهى الله عن تزكية النفس ، بمعنى اعتقاد خيرتها ، والتمدّح بها فقال :{ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ } .

يقول القرطبي: " إعجاب المرء بنفسه: هو ملاحظته لها بعين الكمال، مع نسيان نعمة الله، فإن احتقر غيره مع ذلك، فهو الكبر المذموم " أ هـ .

وعن صهيب رضي الله عنه قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى همس شيئا لا أفهمه و لا يخبرنا به، قال : أفطنتم لي ؟ قلنا : نعم . قال : إني ذكرت نبيا من الأنبياء أعطي جنودا من قومه ، (و في رواية : أعجب بأمته) ، فقال : من يكافئ هؤلاء ؟ أو من يقوم لهؤلاء – أو غيرها من الكلام ، (و في الرواية الأخرى : من يقوم لهؤلاء ؟ و لم يشك) ، فأوحي إليه أن اختر لقومك إحدى ثلاث ، إما أن نسلط عليهم عدوا من غيرهم أو الجوع أو الموت ، فاستشار قومه في ذلك ، فقالوا : أنت نبي الله ، فكل ذلك إليك ، خر لنا . فقام إلى الصلاة و كانوا إذا فزعوا فزعوا إلى الصلاة فصلى ما شاء الله ، قال : ثم قال : أي رب ! أما عدو من غيرهم ، فلا ، أو الجوع ، فلا ، و لكن الموت ، فسلط عليهم الموت ، فمات منهم [في يوم] سبعون ألفا ، فهمسي الذي ترون أني أقول : اللهم بك أحول و لك أصول و بك أقاتل " . رواه أحمد وصححه الألباني.

أخي المجاهد هذا النبي أعجب بجنده وعددهم وقوتهم، فعاقبه الله عز وجل، وهذه سنة شرعية ينبغي على العبد أن يؤمن بها، وأن يضعها نصب عينيه، ما أعجب عبد قط بما عنده من قوة أو جاه أو مال أو سلطان أو حسب أو نسب أو ذكاء أو خبرة عسكرية، إلا عاقبه الله وعاقب من معه، ولو كان فيهم سيد الخلق، وخيرة الصحابة، كما قص الله عز وجل علينا من نبأ نبينا وأصحابه يوم حنين فقال تعالى : { لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ } .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وكثيراً ما يقرن الرياء بالعجب ، فالرياء من باب الإشراك بالخلق ، العجب من باب الإشراك بالنفس ، وهذا حال المستكبر ، فالمرائي لا يحقق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ } والمعجب لا يحقق قوله :{ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فمن حقق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ } خرج عن الرياء ومن حقق قوله : { وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} خرج عن الإعجاب " . أ هـ

وقال صلى الله عليه وسلم (ثلاث مهلكات : شحُّ مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه). أخرجه البيهقي وحسنه الألباني .

وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : (بينما رجل يمشي في حلةٍ تعجب نفسه ، مرجل جمته ، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة) متفق عليه .

واستعظام العمل هو العُجب . والإعجاب بالنفس شر ، وأي شر .

قال ابن المبارك : (لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العجب) .

وإذا كانت الذنوب مهلكة ، فإنها قد تكون رحمة بصاحبها حين تخلصه من العجب الذي هو الهلاك حقاً .

في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لو لم تكونوا تذنبون، خشيت عليكم أكثر من ذلك : العجب) رواه البيهقي وحسنه الألباني.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (الهلاك في شيئين : العجب والقنوط) ..

وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالطلب والتشمير ، والقانط لا يطلب ، والمعجب يظن أنه قد ظفر بمراده فلا يسعى.

قال الإمام ابن حزم ـ رحمه الله تعالى : " مَن امتُحن بالعجب ، فليفكر في عيوبه ، فإن أُعجب بفضائله ، فليفتش ما فيه من الأَخلاق الدنيئة ، فإن خفيت عليه عيوبه جملة حتى يظن أنَّه لا عيب فيه ، فليعلم أنَّ مصيبته إلى الأَبد ، وأنَّه أتم الناس نقصاً وأعظمهم عيوباً وأضعفهم تميزاً ، وأول ذلك : أنّه ضعيف العقل جاهل ، ولا عيب أشد من هذين ؛ لأن العاقل هو من ميّز عيوب نفسه فغالبها وسعى في قمعها ، والأحمق هو الذي يجهل عيوب نفسه : إما لقلّة علمه وتمييزه وضعف فكرته ، وإما لأَنّه يقدّر أنّ عيوبه خصال " أ هـ .

قال ابن باديس رحمه الله : "إذا أعجب المرء بنفسه عمي عن نقائصها ، فلا يسعى في إزالتها ، ولهي عن الفضائل فلا يسعى في اكتسابها ، فعاش ولا أخلاق له، مصدراً لكل شر ، بعيداً عن كل خير" أ هـ .

قال الإمام الذهبي في الميزان: " ينبغي للعالم أن يتكلم بنيته وحسن قصد، فإذا أعجبه كلامه فليصمت، فإن أعجبه الصمت فلينطق، ولا يفتر عن محاسبة نفسه، فإنها تحب الظهور والثناء " أ هـ .

قال ابن المعتز رحمه الله:(العجب شر آفات العقل) .

فالمعْجَبُ بنفسه لن يقبل من خصمه ما جاء من الحق ، بل سيكون مستخفاً به محتقراً إياه ، و هذه من موانع قبول الحق من كلا الطرفين .

قال إسحاق بن خالد رحمه الله : (ليس أقطع لظهر إبليس من قول ابن آدم: ليت شعري بم يختم لي!؟ عندها ييأس إبليس ويقول: متى يُعجب هذا بعمله؟) .

لابد من تحقير النفس وهضمها .

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى:{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ } .

فقالت: (أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم، فجعلت نفسها معنا) .

وهنا قال الشيخ مُحَمَّد حامد الفقي معلقًا: إنما قالت هذا تواضعًا، وإلا فهي من خيار السابقين المقربين.

قال ابن القيم رحمه الله: "ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته، فإذا اطلع على عيبها مقتها في ذات الله تعالى " أ هـ .

وقال بكر المزني: (لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم) .

وقال مُحَّد بن واسع: (لو كان للذنوب ريح ما قدر أحد يجلس إلي).

قال يونس بن عبيد: (إني لأجد مائة خصلة من خصال الخير ما أعلم أن في نفسى منها واحدة) .

وعن أبي الدرداء قال: (لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله ، ثم يرجع إلى نفسه فيكون أشد لها مقتاً) .

السبب الخامس عشر/ عدم العمل بالعلم

قال الله تعالى عن اليهود الذين يعلمون ولا يعملون: { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ } .

وقال تعالى عمن لم يعمل بما علم في هذه الأمة معاتبًا ومنكرًا: { يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ،كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزولا قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه) .

وروي البيهقي في سننه عن لقمان يعني بن عامر قال كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: " إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لي يا عويمر فأقول: لبيك رب فيقول ما عملت فيما علمت " صحيح لغيره الألباني .

المجاهد لا ينكأ عدواً إلا بسلاح وعدّة ، فكذلك المتعلم والمعلم والعالم : لا يصنع أمة ، ولا يكشف غمّة ، ولا يزيل ظلمة ، إلا بعلم وعمل، والذي يعلمون ولا يعملون ، جلسوا على باب الجنة " يدعون إليها الناس بأقوالهم ، ويدعون إلى النار بأفعالهم ، كلما قالت أقوالهم : هلمّوا اسمعوا ، قالت أفعالهم : افرنقعوا لا تسمعوا ، لو كان حقاً ما يدعون إليه كانوا أول المستجيبين له ، فهم في الصورة هداة مرشدون أدلاء ، لكنهم في الحقيقة قطاع طرق "كما ذكر ذلك ابن القيم.

وقال أحد الحكماء : ما يغني الأعمى معه نور الشمس لا يبصرها ، وما يغني عن العالم كثرة العلم لا يعمل به ، إنما هو كالسراج يضيء البيت ويحرق نفسه ، عليّه بوّره ولغيره نوره .

قال ابن الجوزي في صيد الخاطر : "الله الله في العمل بالعلم، فإنه الأصل الأكبر، والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فقدم مفلساً مع قوة الحجة عليه " .

ونقل ابن عبد البر في الجامع قول أُبي بن كعب : (تعلموا العلم واعملوا به، ولا تتعلموه لتتجملوا به، فإنه يوشك إن طال بكم زمان أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه) والله المستعان.

ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: (العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل).

يقول الذهبي رحمه الله عن زمنه : (وأما اليوم : فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل، في أناس قليل ، ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل . فحسبنا الله ونعم الوكيل).

فهذا كلام الذهبي في القرن الثامن الهجري كيف لو عاش الذهبي الى عصرنا ماذا عساه أن يقول ؟!

بعض المجاهدين يظن أنني لما أتكلم عن العمل بالعلم، يظن أني أقصد طلبة العلم أو الدعاة، لا والله بل كلنا معنيون بهذا كله، من تعلم سورة الفاتحة مطالب بالعمل بها

من حفظ أذكار الصلاة مطالب بالهمل بها وهكذا أذكار الصباح والمساء وهكذا ترك المنكرات التي يعرف أنها حرام إلخ .

وقد كان السلف يستعينون بالعمل على العلم، فإن عمل به استقر العلم ودام، ونما وكثرت بركته، وإن ترك العمل به ذهب و عدمت بركته، فروح العلم وحياته وقوامه إنما هو بالقيام به عملاً وتخلقاً وتعليماً ونصحاً .

لأنَّ العلم والعمل قرينان : إما أن يجتمعا أو يرتفعا معاً ، وإن كان هناك علم بلا عمل فإنه حجة على صاحبه .

وقال حفص بن حميد :(دخلتُ على داود الطائي أسأله عن مسألة وكان كريماً؟ فقال: أرأيت المحارب إذا أراد أن يلقى الحرب أليس يجمّع آلته؟ يستعد للمعركة والقتال ويجمّع السلاح ، فإذا أفنى عمره في جمع الآلة فمتى يحارب؟ إن العلم آلة العمل، فإذا أفنى عمره في جمعه فمتى يعمل؟!) هكذا يكون حال الذي يجمع ولا يعمل.

وقال أبو الدرداء رحمه الله ورضي عنه وأرضاه: (ويلٌ للذي لا يعلم، وويلٌ للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات) .

وقال ابن القيم : "سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحاً فاتهمه، فإن الرب تعالى شكور يعني: أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه، وقوة انشراح، وقرة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول " أ هـ

وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم استعاذ من علم لا ينفع ؛ فقد ورد ذلك في حديث زيد بن أرقم وأنس وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة رضي الله عنهم : (اللهم أعوذ بك من علم لا ينفع) .

وعن جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : (سلوا علماً نافعاً ، وتعوَّذوا بالله من علم لا ينفع) .

وعن سلمان رضي الله عنه قال : (علم لا يُقَالُ به ككنز لا ينفق منه) .

إنَّ داء الكلام والتنظير بلا عمل وتطبيق ، أمر قدْ حذَّر الله منه ومقت فاعليه ولهذا فلا يستغرب أن تجد أنَّ أكثر من يكثر الكلام لا يحسن إلا ذلك، وليس لديه تجاه النوازل إلاَّ الكلام والمقال ، وصدق الحسن البصري إذ قال :(إنَّ هؤلاء مَلُّوا العبادة ووجدوا الكلام أسهل عليهم وقلَّ ورعهم فتحدثوا) وما أحسن ما قاله عثمان بن عفَّان رضي الله عنه موصياً قوماً لقيهم : (أنتم إلى إمام فعَّال؛ أحوج منكم إلى إمام قوَّال).

وقال الراغب الأصبهاني في تفصيل النشأتين :" العبادة ضربان: علم وعمل. وحقهما أن يتلازما، لأن العلم كالأسِّ والعمل كالبناء، وكما لن يغنى أسّ ما لم يكن بناء ولا يثبت بناء ما لم يكن أسّ، كذلك لا يغني علم بغير عمل ولا عمل بغير علم؛ ولذلك قال تعالى:{ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} والعلم أشرفهما، ولكن لا يغني بغير عمل" .

وقال بعض العلماء: " العلم خادم العمل، والعمل غاية العلم، فلولا العمل لم يطلب علم، ولولا العلم لم يطلب عمل. ولأن أدع الحق جهلاً به أحب إلى من أن أدعه زهداً فيه " .

قال عطاء رحمه الله : (كان فتىً يختلف إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيسألها وتحدثه، فجاءها ذات يومٍ يسألها، فقالت: يا بني! هل عملتَ بعدُ بما سمعتَ مني؟ قال: لا والله يا أماه، فقالت: يا بني! فبم تستكثر من حجج الله علينا وعليك؟) .

وبعض السلف تمنَّى أنه لم يحمل من العلم شيئاً؛ وذلك لعظم مسئولية العلم، وما هو مطالب به من العمل، لكنه لا يمكن أن يكون متمنياً للجهل، وأن يبقى جاهلاً، فينبغي التوازن في معاني عبارات بعض العلماء.

كقول الشعبي رحمه الله: (ليتني لم أكن تعلمتُ من هذا العلم شيئاً) .

وقال سفيان الثوري رحمه الله : (ليتني لم أكتب العلم، وليتني أنجو من علمي كفافاً لا علي ولا لي) .

السبب السادس عشر / قلة السالكين في هذا الطريق

الشرع لم يجعل للأكثرية عصمة ولا قدسية ولا ميزة بل لا تكاد تراها في الكتاب العزيز إلا مذمومة دائماً كما قال تعالى : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } ، وقال عز وجل : { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } ، وقال سبحانه : { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} ، وقال سبحانه : { وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ } ، وقال عز وجل : { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا } ، وقال عز من قائل : { وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ } .

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله في فتح القدير عند قوله تعالى : {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}: " أخبره الله سبحانه بأنه إذا رام طاعة أكثر من في الأرض أضلوه، لأن الحق لا يكون إلا بيد الأقلين، ومنهم الطائفة التي تزال على الحق ولا يضرها خلاف من يخالفها، كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " أ هـ .

إن عالي الهمة لا يستوحش من قلة السالكين، ولا يأبه بقلة الناجين، ولا يلتفت إلى كثرة المخذلين، ولا يكترث بمخالفة الناكبين، قلبه لا يعرف التثاؤب ولا التشاؤم ولا الراحة ولا السكون ولا الترف.

قال صلى الله عليه وسلم بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: أناس صالحون ، في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم" .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في الاعتصام: " وهذه سنة الله في الخلق : أن أهل الحق في جنب أهل الباطل قليل لقوله تعالى : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقوله : (وقليل من عبادي الشكور) ولينجز الله ما وعد به نبيه صلى الله عليه وسلم من عود وصف الغربة إليه فإن الغربة لا تكون إلا مع فقد الأهل أو قلتهم وذلك حين يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وتصير السنة بدعة والبدعة سنة " أ هـ .

وقال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد :" ولما رأى المنافقون ومَن في قلبه مرض قِلَّة حزبِ الله وكثرةَ أعدائه، ظنُّوا أن الغلبة إنما هي بالكثرة، وقالوا: { غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ } ، فأخبر سبحانه أن النصر بالتوكل عليه لا بالكثرة، ولا بالعدد، والله عزيز لا يُغالَب، حكيم ينصر مَن يستحق النصر، وإن كان ضعيفاً، فعزتُه وحكمتُه أوجبت نصرَ الفئةِ المتوكِّلَةِ عليه. " أ هـ .

قال أيضا رحمه الله في نونيته :

واصدع بما قال الرسول ولا تخف   من قلة الأنصار و الأعوان

فالله ناصر دينه وكتابـــــــــه   والله كاف عبده بأمـــان

إلى أن قال :

لا تخش كثرتهم فهم همج الورى   وذبابه أتخاف من ذبان

وما أحسن ما قاله أبو مُحَمَّد عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة في كتاب الحوادث والبدع :" حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيرا لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولا نظر إلى كثرة أهل البدع بعدهم " أ هـ .

وقال ابن رجب : " لا تستوحش الطريق لقلة السالكين " أ هـ .

وقال أبو عمرو الأوزاعي : (عليك بآثار من سبق وإن رفضك الناس) .

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ ما معناه: (اتَّبع طرق الهدى ولا يضرك قلَّة السالكين، وإيَّاك وطرق الضلالة ولا تغترَّ بكثرة الهالكين) ـ

قال الشيخ مُحَمَّد بن جميل غازي عن الشيخ ابن تيمية : " ليس رجل محافل تزدهيه عبارات الإعجاب والإطراء ويستهويه أن يتجمع حوله أتباع وأشياع ، إنما هو رجل حق يزول معه حيثما زال ، ويميل أينما مال ، هو رجل يسير في الطريق المستقيم ولا توحشه قلة السالكين ، وينأى عن الطريق المنحرف ، ولا يغتر بكثرة الهالكين ، هو كما يقول عن نفسه " رجل ملة " لا " رجل دولة " أ هـ .

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله :

أخي سر ولا تلتفت للوراء   طريقك قد خضبته الدماء

ولا تلتفت ههنا أو هنـاك   ولا تتطلع لغير السمــاء

فبعض المجاهدين ينفر فإذا به لا يجد أمامه إلا القلة القليلة المشردة على رؤوس الجبال والشعاب والأودية من الناس فيستحوش الطريق فيضعف بعدها وينتكس ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أخي المجاهد إذا نظرت إلى المعارك التي دارت بين المسلمين وأعدائهم لم تجد التكافؤ بين الفريقين، وأظنه لن يكون والله أعلم حتى قيام الساعة؛ لأن الله سبحانه له حكمة في ذلك؛ من أجل تصفية الصف من المنافقين، فالنصر مع القلة والضعف ليس كالنصر مع الكثرة والقوة؛ ولذا أثنى على القلة وذم الكثرة، قال تعالى :{ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ }. وقال تعالى : {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ } .

فإذا تأملت ذلك وعرفت ضعف الإنسان وقلة صبر أكثر الخلق وتمكّن الشهوات من النفوس، لم تستغرب من كثرة الهالكين، وإنما الغرابة حقاً في الناجين السالكين.!

وكما قال بعض السلف :(ليس العَجبُ فيمن هَلك كيف هَلك، إنما العَجبُ فيمن نَجا كيف نَجا) !!! .

وقال الآجري في وصفه الغريب: " فلو تشاهده في الخلوات يبكي بحرقة ويئن بزفرة، ودموعه تسيل بعبرة، فلو رأيته وأنت لا تعرفه لظننت أنه ثكلى قد أصيب بمحبوبه

وليس كما ظننت، إنما هو خائف على دينه أن يصاب به، لا يبالي بذهاب دنياه إذا أسلم له دينه، قد جعل رأس ماله دينه يخاف عليه الخسران" ا هـ.

قال الشيخ أبو مُحَّد المقدسي في امتاع النظر :" احذر من التردد والتخاذل عن اتباع الحق ونصرته، لقلة الأنصار السالكين أو لكثرة المخالفين والمثبطين، فالجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك.. وما بالكثرة يعرف الحق ولا بالرجال، وإنما يعرف الرجال بالحق.. وتذكّر أن النبي يأتي يوم القيامة وليس معه من الأتباع والأنصار إلا الرجل والرجلين.. ويأتي النبي وليس معه أحد.. وهو نبي!!

وقد وصف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الطائفة القائمة بأمر الله إلى قيام الساعة بأنهم: "لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم"..

فإياك أن تتضرر بالمخالفين أو بخذلانهم للحق ولو كانوا الأكثرين.. وتذكر بأن أول من تسعّر بهم النار ثلاثة نفر، منهم علماء لم ينتفعوا بعلمهم لتضييعهم شرط الإخلاص. فلا تغتر إذن بكثرة العمائم المنحرفة عن هذا الطريق.. أعني علماء الحكومات الذين باعوا دينهم للسلطان بثمن بخس دراهم معدودات، فبايعوه وناصروه وآزروه، ولبّسوا الحق بالباطل وأفسدوا على الناس دينهم.. فما العبرة بمثل هؤلاء.. وإنما العبرة بالعلماء العاملين المتبرئين من أهل الكفر والطغيان، فهؤلاء هم ورثة الأنبياء.. فالزم طريقهم وإن قلوا.. ولا تغتر بالغثاء.. فليس العجب ممن هلك كيف هلك.. وإنما العجب ممن نجا كيف نجا!!" أ هـ .

السبب السابع عشر / عدم تهيئة النفس للابتلاء

يتصور بعض الناس أن الجهاد طريق مفروش بالزهور والرياحين، مبلط بالرخام، وهذا مخالف لسنة الله تعالى، فالله سبحانه وتعالى قد قال في سورة العنكبوت: { ألم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ } .

أي: أيظن الناس أنهم سيتركون بسبب قولهم هذه الكلمة ولا يقدم لهم ابتلاءات ولا امتحانات، إذا ظن هذا الظن سيسقط، لكن إذا هيأ نفسه، وأعدها لمواجهة أي صعوبة، يتوقع أنه يسجن، يتوقع أنه يمرض، يتوقع أنه يفقر، يتوقع أن امرأته تخرج من بيته تطالب بالخلع وتتبرأ منه ، يتوقع أن أهله يتبرؤون منه، يتوقع أنه يقتل، يتوقع كل شيء في سبيل الوصول إلى مرضاة الله تبارك وتعالى، فإذا ما جاء هذا الأمر المتوقع، يجد النفس مهيأة لاستقباله فيكون الوقع هين لين سهل، والأثر بسيط، لكن حينما لا تكون النفس متهيئة له، كيف يكون الأثر؟!

لابد أن يعرف أن الحياة الدنيا دار بلاء و امتحان فكل ما على الأرض من زينة إنما جعل للابتلاء و الاختبار ثم ينتهي الى فناء و زوال. قال تعالى: { إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً } و الله يبتلي عباده بأنواع البلاء حتى يعودوا الى دينهم الذي فطرهم عليه و اجتالتهم عنه شياطين الإنس و الجن، و حتى يمحص الله عباده و يميز بين الصادق و الكاذب و بين المؤمن و المنافق سنه الله في خلقه و البلاء على حسب قوه الإيمان. حتى يرتفع به العبد المؤمن في مقامات العبودية لرب العالمين، كما أخبر بذلك نبينا مُحَّد صلي الله عليه و سلم

بقوله: " أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، وأن العبد ليبتلى على حسب دينه فإن كان فيه شدة زيد في بلاءه.

والنبي صلى الله عليه وسلم لما أخبره ورقة بن نوفل وقال له: (ليتني معك إذ يخرجك قومك، قال صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال: نعم. ما جاء أحد قومه بمثل ما جئت به إلا عودي (أوذي)، فقال: الله المستعان) استعان بالله عز وجل.

أيضاً عثمان بن عفان لما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي في الصحيحين يقول أبو موسى الأشعري : (تبعت رسول الله بعد أن خرج من المسجد ودخل بئر أريس يعني: بستان أريس في المدينة يقول: فجلس على شفير البئر ودلى رجليه ثم قال: يا أبا موسى ! لا تأذن لأحد إلا بعد أن تخبرني، يقول، فقلت: الحمد لله أنا اليوم بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: فجاء أبو بكر فقلت: يا رسول الله! أبا بكر ، قال: ائذن له وبشره بالجنة، يقول: وبعد قليل طرق الباب طارق، قلت: من؟ قال: عمر ، قلت: عمر يا رسول الله! قال: ائذن له وبشره بالجنة، يقول أبو موسى فقلت: ليت أبا عامر يأتي) يقول: يا ليت أخي يأتي، يظن أن كل من جاء دخل، وهي ليست هكذا إنما هي لأناس معينين، يقول: (فليت أبا عامر يأتي، يقول: فجاء ثالث وطرق الباب، قلت: من؟ قال: عثمان ، قلت: يا رسول الله! عثمان ، قال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فقال عندما بشره: أبشر بالجنة على بلوى تصيبك، فقال: الله المستعان).

هذه تهيئة من الرسول صلى الله عليه وسلم هيأ نفسية عثمان لقبول البلاء، ولذا كان عنده يوم أن قتل أربعمائة عبد في حراسته وهم مملوكون وقد كان تاجراً، فقالوا: ندافع، قال: من ألقى سلاحه فهو حر، فوضعوا السلاح كلهم يريدون الحرية، وأعتقهم لوجه الله، وجاء الصحابة الذين كانوا في المدينة للدفاع عنه فأبى وأمرهم بالرجوع، وجلس على مصحفه لا يدفع عن نفسه حتى دخلوا إليه وقتلوه وسال دمه الشريف على المصحف، رضي الله عنه وأرضاه فكانت أول قطرة قطرت من دمه على هذه الآية : فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم.

فلا بد أن تتوقع وأن تهيء نفسك، للابتلاء، ولا تسأل الله البلاء وسل الله العافية، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تتمنوا لقاء العدو ولكن إذا لقيتموه فاثبتوا) .

الواجب على المجاهد طول النفَس وبعد النظر ومحاسبة الذات وإدراك صعوبة الطريق وأن الهدم أسهل من البناء وتهيئة النفْس لتحمل الهزيمة والمواصلة بعدها لأن العاقبة للمتقين، ومعرفة أن الانتصار الحقيقي يكمن في الثبات على المبدأ، أما شيوع المبدأ فالمجاهد يسعى له ويجد في سبيل ذلك، ولكن ليس من شأنه تحققه .

يقول تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} ويقول أيضا:{ ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ }.

و يا لها من حكمة.. ليتميز الناس ويتميز أصحاب الفضل عن المنكّسة رؤوسهم.

والله يقول جل وتقدس : [وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في الفوائد : "يا مخنث العزم أين أنت والطريق، طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، واضطجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسفُ بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيدُ الحصورُ يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمَّد صلى الله عليه وسلم، تزهى أنت باللهو واللعب " أ هـ .

ويقول سيد قطب رحمه الله: "فلا بد من تربية النفوس بالبلاء ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد وبالجوع ونقص الأموال والأنفس الثمرات، لابد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة كي تقر على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف لا يعُز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى، فالتكاليف هنا هي الثمن النفيس الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تَعُز في نفوس الآخرين، وكلما تألموا في سبيلها وكلما بذلوا من أجلها كانت أعز عليهم وكانوا أحق بها، كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها وصبرهم على بلائها ولا بد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى، فالشدائد تستجيش مكنون القوى، ومدخور الطاقة، وتفتح في القلوب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن إلا تحت مطارق الشدائد " أ هـ .

قال الشيخ أبو مُحَّد المقدسي حفظه الله : " فلا يظن ظان أن هذه الطريق مفروشة بالورد والرياحين ، أو محفوفة بالراحة والدعة ، بل هي والله محفوفة بالمكاره والابتلاءات.. ولكن ختامها مسك وروح وريحان ورب غير غضبان.. ونحن لا نتمنى البلاء لأنفسنا ولا للمسلمين، ولكن البلاء هو سنة الله عز وجل في هذه الطريق، ليميز به الخبيث من الطيب، فهي الطريق التي لا ترضي أصحاب الهوى والسلطان لأنها مصادمة صريحة لواقعهم، وبراءة واضحة من معبوداتهم وشركياتهم.. أما غير هذه الطريق، فإنك تجد أصحابها في الغالب مترفين وللدنيا راكنين، لا يبدو عليهم أثر البلاء، لأن المرء إنما يبتلى على قدر دينه، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل..

وأتباع ملة إبراهيم من أشد الناس بلاء، لأنهم يتبعون منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله" أ هـ .

السبب الثامن عشر /عدم اهتمام الشاب المجاهد تربية نفسه بنفسه

فلا قراءة قرآن ولا أداء الصلوات في وقتها ولا أداء النوافل كقيام ليلٍ أو صيام نافلة، أو قراءة قرآن، أهمل نفسه مع أنه ملتحق بالشباب المجاهد ، واكتفى بالمظهر الخارجي، وهذا ما يسمى "الالتزام الأجوف" .

ومعنى الالتزام الأجوف :

هو أن ترى الشخص ظاهره الالتزام ومع ذلك عنده تقصير في العبادة أياً كان نوعها،

سواء بترك الفرائض أو أدائها على كسل وعدم لذة أو ترك النوافل أو كثير منها.

بل بعضهم لا يصلي الفريضة إلا بعد خروج وقتها بل أعرف بعضهم من هذا دأبه دائما" ، بل حدثني بعضهم أن هناك من ينتسب للدواعش في السجن يجمع الظهر والعصر والمغرب بعد المغرب ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأخر يُقوِّم لصلاة الفجر فيقول بأخر الصلاة .

مظاهر هذا المرض :

1- النوم عن الصلاة المكتوبة ، خصوصاً صلاة الفجر والعصر .2- عدم الخشوع في الصلاة .3- عدم التبكير للصلاة .4- عدم أداء النوافل من الصيام والقيام والسنن والرواتب.5- عدم قراءة القرآن وحفظه.6- ترك الأوراد اليومية والأذكار

.7- سوء الأخلاق والمعاملة . 8- عدم قبول النصيحة من الآخرين .9- حب التسيب وعدم الانضباط.10- إضاعة الوقت فيما لا فائدة منه .11- كثرة الضحك. 12- الانشغال بالملهيات .13- عدم الجد في طلب العلم .14- التعلق بغير الله سبحانه وتعالى .15- الاهتمام بالمظهر اهتماماً فوق المعتاد .16- عدم إنكار المنكر .17- إخلاف الوعد .18- عدم التخلص من رواسب الجاهلية .19- عدم الورع في الفتوى والوقوع في الشبهات .20- عدم صلة الرحم .21- التقصير في تربية الأهل والأولاد .22- السهر إلى ساعات متأخرة من الليل.23- الولع بالخصام وكثرة المجاملة ، وهذا سبب لنسيان العلم وقسوة القلب ، وتضييع الوقت .

وأحسن مكان لتربية النفس هي أرض الجهاد ، ورحم الله سيد قطب فهو القائل :" إن هذا القرآن لا يكشف أسراره إلا للذين يخوضون به المعارك والذين يعيشون في الجو الذي تنزل فيه أول مرة " أ هـ .

لذلك تنبه علماء السلف وأهل النظر الثاقب من المعاصرين إلى هذه القضية فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : "من كان كثير الذنوب فأعظم دوائه الجهاد " أ هـ .

وهذا الشيخ محمد الأمين المصري يقول :" أما القائلون كيف يمكن الجهاد والمسلمون مشتتون جاهلون بعيدون من معاني دينهم فجوابهم : علاج هذا كله بالدخول في ميادين القتال..) إلى أن قال رحمه الله : (إن أعظم ميدان للتربية ميدان القتال..)

ويقول : (ثم إن تزكية النفوس وتربية الإخلاص في العمل يجب أن تتم في حقل الجماعة الإسلامية وفي ميادين الجهاد وهكذا كانت تربية المسلمين الأولين..) ويقول : (إن النقطة الهامة التي نريد إيضاحها هي أثر الجهاد العملي في تربية الجماعة وفي نفوس أفرادها.. إن الأمة التي تواجه الشدائد وتكافح الصعاب ويعيش أبناؤها في جهد دائم وجهاد متواصل ، هي الأمة التي تستحق الحياة وهي التي يكتب لها البقاء والظفر..) ويقول : (كان الجهاد العملي لدى المسلمين الأولين مقترناً بالجهاد النفسي ، لم ينفك أحدهما عن الآخر لحظة واحدة ، وكان الجهاد العملي أكبر وسيلة لتربية المسلمين وإقرار المعاني السامية والمثل الرفيعة في نفوسهم)" أ هـ. [9]

قال الشيخ أبو مصعب السوري فك الله أسره إن كان مأسوراً وتقبله الله إن قتل : "لا بد من تربية النماذج الصلبة التي تستعصي على الإغراء ولا تقبل البيع والشراء من قبل الأعداء والأصدقاء . ولا بد من تربية الأفذاذ الذين لا يقبلون الذوبان في حوامض المجتمع الجاهلي ، ولا يتميعون في ظروفه المختلة ، العناصر الصلبة التي تحمل المجتمع والدعوة فوق كاهلها . نريد الأفرع الصلبة التي لا تتلوى مع رياح المجتمع ، ولا تتثنى مع أهوائه.

لقد كان اجتياز الجيش الإسلامي لنهر دجلة عند فتح العراق وفارس إبان فيضانه من القضايا التي أذهلت المؤرخين وحيرهم تفسيرها : اجتياز الجيش لدجلة دون ان

---

[9] (إدارة التوحش)

يفقد فردا واحدا من عدده . ولكن القضية الأروع أن هذا الجيش خاض بحور أكبر مدنيتين الروم والفرس دون أن يفقد من خلقه ولا من دينه شيء.

لقد تربع سلمان الفارسي على مقام كسرى بعد أن أذله الله وثل عرشه ، وكان كسرى يبكي ويقول : لم يبق عندي سوى ألف طباخ فكيف أستطيع أن أعيش بهذا العدد فقط؟ بينما سلمان – أمير فارس المسلم – ينفق كل يوم درهما واحدا " أ هـ .

السبب التاسع عشر / عدم الفهم الصحيح لسنة الله في تداول القوى والانتصارات

يظن بعض المسلمين أن النصر في المعارك والصولات والجولات يجب أن يكون دوماً للمسلمين المؤمنين وعلى النقيض هناك البعض الآخر ظنّ أنه قد كتب على المسلمين اليوم وغداّ ودائماً الذل والمسكنة وأنه لن تقوم للإسلام قائمة ويقول : إن إسرائيل وأمريكا وأحلافهما من الطواغيت، هم الحكام المطلقين للعالم ولن تقوم

للمسلمين قائمة فالمسلمين منهزمين في جميع أنحاء العالم ويقول ذلك المنهزم بأن أمر الإسلام لن ينصلح إلا بنزول عيسى أو بظهور المهدي عليهما السلام .

لا أخي المجاهد، الحرب سجال يوم بيوم، والله أعلى و أجلّ، لا سواء قتلانا في الجنّة و قتلاكم في النار .

ونرى ذلك المنهزم يقلل من شان المسلمين ويحطّم من معنوياتهم ويهوّل ويضخّم كثيرا من شأن إسرائيل وأمريكا وأعوانهما ويدعم ذلك المنهزم أوهامه وتصوراته المستقبلية ببعض المعارك التي ربحتها إسرائيل وأمريكا في العصر الحديث وينسى بعض انتصارات المسلمين حديثاً وهذا خطأ كبير فمن سنة الله في هذه الحياة أن يجعل ميزان القوى تارة يرجح لصالح الباطل وتارة أخرى لصالح الحق ولكن دوما في النهاية العاقبة للمتقين .

فمثلاُ الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام ربح معركة بدر ثم خسر معركة أحد وربح معارك أخرى ولكن في النهاية دوماُ تكون العاقبة للمؤمنين .

وقد بين الله عز وجل في كتابه الحكيم سنة التداول وخصوصاً بعد معركة أحد لأن خسارة معركة أحد قد أثرت على معنويات عدد من الصحابة رضي الله عنهم وسببت لبعضهم إحباطاً نفسياً لذلك أراد الله عز وجل أن يعلمهم سنته في تداول القوى فيَقُول تَعَالَى مُخَاطِبًا عِبَاده الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا أُصِيبُوا يَوْم أُحُد وَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ :{ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكافِرِينَ }.

قال الشيخ سليمان أبو الغيث : " أما عن حربنا مع الولايات المتحدة الأمريكية؛ فلم تنتهي ولن تنتهي، لأن المعركة بيننا وبين الأمريكان ليست معركة مصلحية أو معركة شخصية، بل هي معركة بين الحق والباطل، وهو صراع بين الخير والشر، وأمريكا إنما تمثل رأس هذا الباطل وجسد ذلك الشر، فالصراع بين الحق والباطل هو صراع ماضٍ وباقٍ ما بقي الجهاد في سبيل الله عز وجل، وكلنا يعلم أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، فإن كانت أمريكا اليوم هي في رأس هذا التحالف وهي رأس الكفر العالمي فما يدرينا من يكون في المستقبل.

نحن نحارب من أجل أن تكون كلمة الله سبحانه وتعالى هي العليا، نحن نعمل ونجاهد ونقاتل من أجل تحقيق قوله تعالى: {ويكون الدين كله لله}، ولا شك أن الدنيا اليوم تحكم بغير شرع الله سبحانه وتعالى، فليس لشرع الله سبحانه وتعالى سلطان على هذه الأرض، وما جهادنا وما قتالنا إلا لتحقيق هذا المعنى العظيم الذي مستعدون أن نبذل الأرواح من أجل تحقيقه بإذن الله سبحانه وتعالى.

أما عن تقييمنا – كما تفضلتم في سؤالكم– للحملة الأمريكية ضدنا وهل حققت أهدافها؟ أنا أود قبل الإجابة على هذه الجزئية أن أبين نقطة مهمة جداً يجب يفهمها كل مسلم على هذه الأرض وخاصة المجاهدون في سبيل الله عز وجل؛ يجب على المسلمين وعلى غير المسلمين أن يعلموا أن الحرب سجال، يوم لنا ويوم علينا،

وأن الأيام دول، يوم يدال فيها المسلمين على الكفار، ويوم يدال للكفار فيها على المسلمين، وهذه هي سنة الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة، كما قال الله سبحانه وتعالى: {إن يمسسكم قرحٌ فقد مس القوم قرحٌ مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس}، فالأيام دول.

ونحن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى وفق هذه السنة الإلهية الحكيمة أراد أمراً، ويجب أن نعلم جيداً أن النصر لن يكون حليفاً لأحد الطرفين دائماً، ولكن نحن نعتقد أنه في النهاية حتماً سيكون للمؤمنين: {كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله لقوي عزيز}.

فمن ظن أن هذا الطريق طريق سهل وميسر ومعبد ومفروش بالزهور والرياحين؛ فهو مخطئ، وعليه أن يراجع سيرة الرسل والأنبياء وسيرة نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وسيرة الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء من بعدهم، فعلينا أن نعلم ذلك جيداً.

ونحن – بفضل الله سبحانه وتعالى – إن خسرنا جولة من الجولات كما يظن الآخرين؛ فنحن قد انتصرنا في جولات كثيرة، يعني نحن قد نصرنا الله سبحانه وتعالى في هذا القرن أو في السنوات الأخيرة من القرن الماضي وفي أوائل هذا القرن؛ نصرنا انتصاراً عظيما تاريخياً قصم ظهر الأمريكان، قصم ظهر أكبر قوة في هذا العالم.

فقد نصرنا الله سبحانه وتعالى عليهم في "نيروبي" و "دار السلام"، ونصرنا عليهم في "عدن" في ضرب المدمرة الأمريكية "كول"، ونصرنا عليهم عندما رأى العالم بأم عينيه ماذا فعل المجاهدون في سبيل الله سبحانه وتعالى في "نيويورك" و "واشنطن".

فنحن نعتقد؛ أننا ما زلنا في بداية الحرب وإنما هي جولة من الجولات، وأننا مازلنا في بداية الطريق، فإن قتلنا نحن أو أسرنا نحن أو استطاع أعداء الله سبحانه وتعالى أن يحققوا انتصاراً في جولة من الجولات؛ فهذا الطريق طويل، وهو طريق المسلمين الذين يجب أن يستمروا فيه إلى أن تقوم الساعة.

أما عن تحقيق الحملة الأمريكية لأهدافها؛ فإنني أعتقد أن الحملة لم تحقق أهدافها الحقيقية، فإن حققت بعض الشيء فهي لا تعدو أن تكون "دعاية هوليوودية" استطاع الأمريكان أن يسحقوا من خلالها آلاف الأبرياء، وأن يدمروا مئات القرى التي لم يكن لها أي ذنب في هذه المعركة.

فالحملة الأمريكية - ولله الحمد - لم تستطع القضاء على التنظيم، والتنظيم قائم، وأنا أبشر المسلمين بأن التنظيم قائم، ويعمل بكل طاقته وإمكانياته، بل يعمل بطاقة أكبر وعزيمة أقوى وإصرار على المواصلة والثأر لدماء الأبرياء.

تنظيم القاعدة؛ ليس تنظيماً هلامياً أو تنظيماً هشاً، كما يعتقد البعض أنه يمكن تدميره بهذه السهولة، خاصة ونحن نعرف من نقاتل، ونعرف أن العالم سيقف في يوم من الأيام كله بوجهنا وسيواجهنا العالم كله، وهذا ما حدث". أ هـ

السبب العشرون / صحبة ذوي الإرادات الضعيفة و الهمم الدنية

حث النبي صلى الله عليه وسلم على ضرورة انتقاء واصطفاء الصاحب ، إذ يقول : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم إلى من يخالل) .

و قال صلى الله عليه وسلم : (إنما مثل الجليس الصالح و الجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك : إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة).

إن ضعيف الهمة ، ساقط العزيمة ، ولم يهتم إلا بدنياه فإنَّ همته لا تدله إلا على أراذل الأمور، وضعيف التجارب ، يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في الظِلال :" إنَّ الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحا، ولكنه يعيش صغيراً ويموت صغيراً، فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير...فمالَه والنوم؟ ومالَه والراحة؟ وماله والفراش الدافئ والعيش الهادئ والمنام المريح؟! ولقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة الأمر وقدَّره ؛ فقال لخديجة . رضي الله عنها . وهي تدعوه أن يطمئن وينام: مضى عهد النوم يا خديجة أجل مضى عهد النوم ، وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق!" أ هـ .

صحبة الأشرار والعصاة، مثل صحبة ذلك الرجل الذي أضل نفسه وأضل غيره معه؛ لأن القرين السيئ يعدي كما يعدي الصحيح الأجرب، أدخل جملاً أجرب في مائة جمل سليم، هل تعديه بالعافية أم يعديها بالجرب؟ يعديها بالجرب؛ لأن المرض ينتقل، والعافية لا تنتقل، وضع تفاحة متعفنة في صندوق صحيح هل التفاح

الصحيح يصلح المعفنة أم المعفنة تعفن الصندوق كله؟ كذلك ضع شخصاً خبيثاً مع عشرة صالحين يفسدهم كلهم .

عن المرء لا تسل وسل عن قرينـــــه فكل قرين بالمقارن يقتـــــــدي

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم ولا تصحب الأردى فترد مع الردي

ويقول الآخر:

فلا تصحب أخا الفسق وإياك وإياه

فكم من فاسق أردى مطيعاً حين آخاه

يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه

وللناس على الناس مقاييس وأشباه

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

كن مع شكلك، هل رأيت حمامة تمشي مع الغربان؟! هل رأيت كلباً يمشي مع الغزلان؟! لا يمشي معها إلا لأنه يريد أن يفترسها، لا تمش إلا مع من هو مثلك على الدين والاستقامة، وإذا مشيت مع قرناء السوء أهلكوك.

وصف الله سبحان أصحاب الهمم الهابطة بقوله :{لَوْ كانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قاصِداً لَاتَّبَعُوكَ ، وَلكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ} .

قال سيد قطب رحمه الله : " لو كان الأمر أمر عرض قريب من أعراض هذه الأرض ، وأمر سفر قصير الأمد مأمون العاقبة لاتبعوك! ولكنها الشقة البعيدة التي تتقاصر دونها الهمم الساقطة والعزائم الضعيفة. ولكنه الجهد الخطر الذي تجزع منه الأرواح الهزيلة والقلوب المنخوبة. ولكنه الأفق العالي الذي تتخاذل دونه النفوس الصغيرة والبنية المهزولة...

فكثيرون هم أولئك الذين يتهاوون في الطريق الصاعد إلى الآفاق الكريمة. كثيرون أولئك الذين يجهدون لطول الطريق فيتخلفون عن الركب ويميلون إلى عرض تافه أو مطلب رخيص. كثيرون تعرفهم البشرية في كل زمان وفي كل مكان " أ هـ .

قال ابن قدامة رحمه الله : " واعلم أنه لا يصلح للصحبة كل أحد، ولابد أن يتميز المصحوب بصفات وخصال يرغب بسببها في صحبته " أ هـ .

قال ابن حزم رحمه الله في مداواة النفوس : "لا تبذل نفسك إلا فيما هو أعلى منها، وليس ذلك إلا في ذات الله عز وجل في دعاء إلى حق، وفي حماية للحريم، وفي دفع هوان لم يوجبه عليك خالقك تعالى وفي نصر مظلوم.

وباذلُ نفسِه في عرض دنيا كبائع الياقوت بالحصى " أ هـ .

أرى ألف بانٍ لا يقوم بهادم *** فكيف ببان خلفه ألف هادم

متى يبلغ البنيان يوما تمامه *** إذا أنت تبنيه وغيرك يهدم

قال ابن الجوزي في صيد الخاطر : "فكن رجلاً رجله في الثّرى ... وهامة همّته في الثريّا، ولو أمكنك عبور كل أحد من العلماء والزهاد فافعل، فإنهم كانوا رجالاً وأنت رجل.

وما قعد من قعد بالا لدناءة الهمة وخساستها.

واعلم أنك في ميدان سباق والأوقات تنتهب. ولا تخلد إلى كسل.

فما فات ما فات إلا بالكسل. ولا نال من نال إلا بالجد والعزم.

وإن الهمة لتغلي في القلوب غليان ما في القدور " .

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله :(إن لي نفسا تواقة، لقد رأيتني وأنا في المدينة غلاما مع الغلمان، ثم تاقت نفسي إلى العلم وإلى العربية والشعر فأصبت منه حاجتي وما كنت أريد، ثم تاقت نفسي وأنا في السلطان إلى اللبس والعيش والطيب فما علمت أن أحدا من أهل بيتي ولا غيرهم كان في مثل ما كنت فيه، ثم تاقت نفسي إلى الآخرة والعمل بالعدل فأنا أرجو ما تقت نفسي إليه من أمر آخرتي).

السبب الحادي والعشرون/اتباع الهوى

قَالَ بعضُ العارفِينَ: انتهى سَفَرُ الطَّالبينَ إِلَى الظَّفَرِ بأَنفُسِهِم، فمَن ظَفِرَ بِنَفْسِهِ؛ أَفْلَحَ وأَنْجَحَ، ومَن ظَفِرَتْ بِهِ نفسُهُ خَسِرَ وهَلَكَ. قَالَ تَعَالَى: { فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وآثَرَ الحياةَ الدُّنْيا * فإنَّ الجَحيمَ هِيَ المَأْوَى *وأمّا مَنْ خَافَ مَقامَ ربّهِ ونَهَى النَّفسَ عنِ الهَوَى *فإنَّ الجَنّةَ هِيَ المأوى}.

فالنَّفسُ تدعو إِلَى الطُّغيانِ وإيثارِ الحياةِ الدُّنْيَا، والرَّبُّ يدعو عبدَه إِلَى خَوْفِهِ ونَهْيِ النَّفْسِ عَنِ الهَوَى، والقلبُ بينَ الدَّاعِيَيْنِ، يميلُ إِلَى هَذَا الدَّاعي مرَّةً، وإلى هَذَا مرَّةً.

وهذا موضِعُ المحنةِ والابتلاء.

فحقيقٌ بمن هَذَا شأنُهُ أَنْ يرغبَ إِلَى خالقها وفاطرها أَنْ يَقِيَها شرَّها، وأن يُؤْتيَها تقواها ويُزَكّيها، فَهُوَ خيرُ مَنْ زَكّاها، فإنّه رَبُّهَا ومولاها، وأن لاَ يَكِلَه إِلَيْهَا طَرْفَةَ عين، فإنَّه إن وَكَله إِلَيْهَا هَلَكَ، فَمَا هَلَكَ مَنْ هلك إلاَّ حيثُ وُكِلَ إِلَى نفسه.

ذم الله اتباع الهوى { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ }. وقال في حق نبيه مُحَّد – صلى الله عليه وسلم – : { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }وقال: { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ } وقال تعالى: { قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } وقال تعالى مخاطبًا عباده المؤمنين ومحذرًا لهم من اتباع الهوى: { فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا }.

وأخبرنا تعالى بأنه لا أحد أضل ممن يتبع هواه بغير هدى ولا علم كما قال تعالى { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ } وقال تعالى: { وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ }.

وأخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن اتباع الهوى من المهلكات فقال:(ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى. وثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه) ولخطورة اتباع الهوى وشدة مجاهدته على النفس فقد جعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم مجاهدة الرجل لهواه أفضل الجهاد فقال: (أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه) .

صاحب الهوى لا يرى إلا الهوى، فإذا تكلم فبهوى، وإذا صمت فلهوى، وإذا فعل فلهوى، وإذا ترك فلهوى، ولأنه يعيش في محيط هواه الذي أضله وأعماه وأصمه ، والذي أسره وقيده، فإن الهوى يأسر صاحبه كما قال شيخ الإسلام رحمه الله : "المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه " أ هـ .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في منهاج السنة :" وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه فليس قصده أن يكون الدّين كلّه لله، وأن تكون كلمة الله هي العلياء، بل قصده الحميّة لنفسه وطائفته أو الرّياء، ليعظّم هو

ويثنى عليه، أو لغرض من الدّنيا فلم يكن لله غضبه، ولم يكن مجاهدا في سبيل الله، بل إنّ أصحاب الهوى يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهدا معذورا لا يغضب الله عليه، ويرضون عمّن يوافقهم، وإن كان جاهلا سيّء القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذمّوا من لم يذمّه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله " أ هـ .

قال الإمام ابن الجوزي: " فأمَّا مَن لا يبالي أن يُرى سكران ولا يهمه إن شُهِرَ بين الناس ولا يؤلمه ذكر الناس له بالسُّوء ، فذاك في عداد البهائم " أ هـ .

إنَّ الهوانَ هو الهَوَى قُلِبَ اسمُهُ   فإذا هَوِيتَ فقد لَقِيتَ هَوَانَا

وإذا هَويتَ فقد تعبَّدَكَ الهَــوى   تَخْضَعْ لحبِّك كائنًا مَنْ كَانَا

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (من استحوذت عليه الشَّهوات انقطعت عنه مواد التوفيق).

وقال صفوان بن سليم رحمه الله: (ليأتينَّ على الناس زمان تكون همَّ أحدهم فيه بطنه ، ودينه هواه).

يقول الجاحظ: " إذا تمكّنت الشّهوة من الإنسان وملكته وانقاد لها كان بالبهائم أشبه منه بالنّاس، لأنّ أغراضه ومطلوباته وهمّته تصير أبدا مصروفة إلى الشّهوات واللّذّات فقط، وهذه هي عادة البهائم، ومن يكون بهذه الصّفة يقلّ حياؤه، ويكثر خرقه، ويستوحش من أهل الفضل، ويبغض أهل العلم، ويودّ أصحاب الفجور،

ويستحبّ الفواحش، ويسرّ بمعاشرة السّخفاء، ويغلب عليه الهزل وكثرة اللّهو، وقد يصير من هذه الحالة إلى الفجور، وارتكاب الفواحش، والتّعرّض للمحظورات، وربّما دعته محبّة اللّذّات إلى اكتساب الأموال من أقبح وجوهها، وربّما حملته على الغضب والتّلصّص والخيانة وأخذ ما ليس له بحقّ؛ فإنّ اللّذّات لا تتمّ إلّا بالأموال والأعراض، فمحبّ اللّذّة إذا تعذّرت عليه الأموال من وجوهها، جسّرته شهوته إلى اكتسابها من غير وجوهها، ومن تنتهي به شهواته إلى هذا الحدّ، فهو أسوأ النّاس حالا، ويصبح من الأشرار الّذين يخاف خبثهم، ويصير واجبا على متولّي السّياسات تقويمهم وتأديبهم، وإبعادهم ونفيهم، حتّى لا يختلطوا بالنّاس فإنّ اختلاط من هذه صفته بالنّاس مضرّة لهم، وبخاصّة الأحداث منهم، لأنّ الحدث (صغير السّنّ) سريع الانطباع، ونفسه مجبولة على الميل إلى الشّهوات، فإذا شاهد غيره مرتكبا لها، مستحسنا للانهماك فيها، مال هو أيضا إلى الاقتداء به " أ هـ .

علاج الهوى:

يعالج بالعزم القويّ في هجران ما يؤذي، والتّدرّج فيما لا يؤمن أذاه، وهذا يفتقر إلى صبر ومجاهدة، ويهوّن ذلك على المبتلى أمور سبعة هي:

1- التّفكّر في أنّ الإنسان لم يخلق للهوى، وإنّما هيّء للنّظر في العواقب والعمل للآجل، فلو كان نيل المشتهى فضيلة لما بخس الإنسان- وهو سرف في حظّه- منه وزاد عن حظّ البهائم، وفي توفير حظّ الآدميّ من العقل وبخس حظّه من الهوى دليل على فضل هذا وذاك.

2- التّفكّر في عواقب الهوى، فكم فوّت من فضيلة، وكم قد أوقع في رذيلة، وكم من زلّة أوجبت انكسار جاه وقبح ذكر مع إثم. غير أنّ صاحب الهوى لا يرى إلّا الهوى.

3- تصوّر العاقل لانقضاء غرضه من هواه، ثمّ يتصوّر مدى الأذى الّذي يحصل له عقب اللّذّة، فإنّه حينئذ سيرى أنّ ما حصل له من الأذى يربو على الهوى أضعافا مضاعفة.

4- تصوّر عاقبة ذلك في حقّ غيره؛ فعندئذ سيرى ما يعلم به عيب نفسه إن هو وقف في ذلك المقام وارتكس في هذه الآثام.

5- التّفكّر في حقيقة ما يناله باتّباعه هواه من اللّذّات والشّهوات، فإنّ العقل سيخبره أنّه ليس بشيء، وإنّما عين الهوى عمياء.

6- التّدبّر لما يحصل له من عزّ الغلبة إن ملك نفسه، وذلّ القهر إن غلبته، فما من أحد غلب هواه إلّا أحسّ بقوّة العزّ، وما من أحد غلبه هواه إلّا وخز في نفسه ذلّ القهر.

7- التّفكّر في فائدة مخالفة الهوى من اكتساب الذّكر الجميل في الدّنيا، وسلامة النّفس والعرض والأجر في الآخرة، ثمّ يعكس فيتفكّر لو وافق هواه في حصول عكس ذلك على الأبد، من كان يكون يوسف لو نال تلك اللّذّة؟ فلمّا تركها وصبر عنها بمجاهدة ساعة، صار من قد عرفت "[10] .

---

[10] (نضرة النعيم).

السبب الثاني والعشرون/ التعلق بالأشخاص

قال الشيخ يوسف العييري رحمه الله :" إن الناظر اليوم إلى حال الأمة الإسلامية من خلال أدبياتها وخطبها يجد أن شريحة لا يستهان بها من الناس يربطون الأحداث بأشخاص ليس على مستوى الجهاد فحسب بل إنه يتعدى إلى مجال الدعوة والإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها.

وما يهمنا في هذه الحلقة هو أن نثبت أن الجهاد غير معلق لا بقيادات ولا بأفراد، وتعليق الجهاد بأشخاص سواء كانوا قيادات أو مجاهدين يعد آفة عظيمة تعصف برسوخ عقيدة شعيرة الجهاد لدى المسلمين، كما أن تعليق الجهاد بأشخاص أيضاً يضعف من قناعة ديمومة الجهاد وصلاحه لكل زمان، بل إنه سيكون أهم عائق نفسي ومنهجي أمام كل من أراد أن يسلك درب الجهاد ويتفرغ لتلك الشعيرة العظيمة.

لقد ربا الله سبحانه وتعالى أصحاب مُحَّد صلى الله عليه وسلم على التعلق به وحده والتعلق بدينه، وبين لهم أن التعلق بأشخاص منهج باطل يفضي إلى ربط العمل به وقد ينتهي العمل بانتهاء حياة الشخص، ونهي الله سبحانه وتعالى للصحابة رضي الله عنه بالتعلق بأشخاص لم يأت نهياً عن التعلق بشخص مثلهم كلا، بل إنه جاء نهياً لهم بأن يعلقوا الشعائر بأشرف خلق خلقه الله تعالى سبحانه وتعالى وهو مُحَّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، نهاهم الله تعالى عن التعلق بشخص النبي صلى الله عليه وسلم فقال {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ

قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} .

وهذه الآية نزلت لتربي الصحابة رضوان الله عليهم وتنهاهم عن المنهج الفاسد الذي يفسد العبادات وهي تعليق العمل بأشخاص، وليس المقصود من تعليق العمل بأشخاص أي إشراكهم مع الله، فهذا شرك أصغر أو أكبر أحياناً، ولكن مقصودنا من تعليق العمل بأشخاص هو أن يرى المسلم بأن هذه العبادة لا سيما الجهاد لم تنجح أو تتقدم أو تحقق شيئاً إلا لأن الله تعالى جعل هذا الرجل أو ذاك على طليعة العاملين لها، وهذه هي أقل الصور التي تدخل في نهي الله سبحانه وتعالى عن ذلك المنهج، فقد نهى الله أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وأقوال المفسرين في هذه الآية توضح المقصود من كلامنا السابق، وتبين أيضاً خطر ذلك المنهج الذي يؤدي حتماً إلى ترك الدين أو ضعف العمل له " . أ هـ

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "ومن نصب شخصًا كائنًا من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو { مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا }وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين مثل اتباع الأئمة والمشايخ فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم العيار فيوالي من وافقهم ويعادي من خالفهم فينبغي للإنسان أن يعود نفسه التفقه الباطن في قلبه والعمل به فهذا زاجر. وكمائن القلوب تظهر عند المحن، وليس لأحد أن يدعو إلى مقالة أو يعتقدها لكونها قول أصحابه ولا يناجز عليها بل لأجل أنها مما أمر الله به ورسوله أو أخبر الله به ورسوله. لكون ذلك طاعة الله ورسوله " أ هـ .

المتعلق بشخص أحياناً ينصدم بواقع المتعلق به إذا حصل منه خطأ مما يسبب له النكوص ، فيجعل زلة المتعلق به سبباً في الابتعاد عن الحق ، وكان الإمام سفيان بن عيينة يطلق على مثل هؤلاء الذين يجعلون زلات القدوات سبباً للابتعاد عن الحق صفة : (الحماقة) فقد لاحظ أحدهم منه خشونة وشدة على طلبته فتجرأ وسأله : إن قوماً يأتونك من أقطار الأرض ، تغضب عليهم ، يوشك أن يذهبوا ويتركوك فرد عليه : هم حمقى إذن مثلك أن يتركوا ما ينفعهم لسوء خلقي .

فأراد سفيان أن يفهم السائل القاعدة التي هي :(التعلق بالحق وترك التعلق بالأفراد) .

كذلك تذكرت الموقف الصحيح الذي يجب اتباعه حيال تغير الأشخاص ، وتبدل المواقف ، وتحول المسارات وهو أن يكون الحق هو المحور الذي يرتبط به المسلم والمجاهد فيدور معه حيث دار ، تحقيقاً لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " لا يكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم " .

ولقول ابن مسعود رضي الله عنه : " الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك " وقوله رضي الله عنه : "من كان مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة " وهذا دليل صدقٍ وعلامة رشاد ، وهو النهج القويم الذي لا ينبغي لمريد الحق أن يحيد عنه.

فالحق قديم ، وهو أحق أن يتبع ، والله أحق أن نخشاه ، فالرجوع لا يكون فضيلة إلا إذا كان إلى الحق ومقصوداً به الحق ، أما التعلق بالأشخاص والدوران في فلكهم والتأثر بتقلباتهم فهو سبيل الخاسرين ، والضعفاء والمنهزمين ، الذين ما عرفوا حقيقة العبودية وأنها لله وحده لا شريك له سبحانه فليست لنبي ولا لرسول فضلاً عن الأحبار والرهبان والعلماء.

ورحم الله علي بن أبي طالب ورضي عنه إذ قال :(لا تعرف الحق بالرجال ، ولكن اعرف الحق تعرف أهله) .

ولذلك جاء القرآن ليقرر هذه الحقيقة الأولية حقيقة التعلق بالمنهج ونبذ التعلق بالأشخاص ولو كانوا رسلاً . ففي سورة آل عمران وهو يتحدث عن غزوة أحد يقول سبحانه : {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ }.

يقول أحد الباحثين : « وكأنما أراد الله سبحانه بهذه الحادثة وبهذه الآية أن يفطم المسلمين عن تعلقهم الشديد بشخص النبي صلى الله عليه وسلم وهو حيٌّ بينهم ، وأن يصلهم مباشرة بالنبع النبع الذي لم يفجّره مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ، ولكن جاء فقط ليومئ إليه ، ويدعو البشر إلى فيضه المتدفق ، كما أومأ إليه من قبله الرسل ، ودعوا القافلة للارتواء منه ؛ وكأنما أراد الله سبحانه أن يجعل ارتباط المسلمين بالإسلام مباشرة وأن يجعل عهدهم مع الله مباشرة ، وأن يجعل مسؤوليتهم

في هذا العهد أمام الله بلا وسيط ، حتى يستشعروا تبعتهم المباشرة التي لا يخليهم عنها أن يموت الرسول أو يقتل فهم ؛ إنما بايعوا الله ، وهم أمام الله مسؤولون ، وكأنما كان سبحانه يعد الجماعة المسلمة لتلقي هذه الصدمة الكبرى حين تقع ، وهو سبحانه يعلم أن وقعها عليهم يكاد يتجاوز طاقتهم ، فشاء أن يدربهم عليها هذا التدريب ، وأن يصلهم به هو وبدعوته الباقية قبل أن يستبد بهم الدهش والذهول » .

ويضيف قائلاً : « والمسلم الذي يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد كان أصحابه يحبونه الحب الذي لم تعرف له النفس البشرية في تاريخها كله نظيراً ، الحب الذي يفدونه معه بحياتهم أن تشوكه شوكة ، وقد رأينا أبا دجانة يترس عليه بظهره ، والنبل يقع عليه ولا يتحرك ، ورأينا التسعة الذين أفرد فيهم ينافحون عنه ويستشهدون واحداً إثر واحد ، وما يزال الكثيرون في كل زمان وفي كل مكان يحبونه ذلك الحب العجيب بكل كيانهم وبكل مشاعرهم حتى ليأخذهم الوجد من مجرد ذكره صلى الله عليه وسلم ، هذا المسلم الذي يحب مُحَمَّداً ذلك الحب مطلوب منه أن يفرق بين شخص مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم والعقيدة التي أبلغها وتركها للناس من بعده باقية ممتدة موصولة بالله الذي لا يموت ؛ إنَّ الدعوة أقدم من الداعية » .

.

السبب الثالث والعشرون / الشماتة بالآخرين

حَكَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : { فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } .

وَقِيلَ لِأَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيُّ شَيْءٍ مِنْ بَلَائِكَ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْكَ قَالَ :شَمَاتَةُ الْأَعْدَاءِ.

عَنْ مَكْحُولٍ عَنْ وَاثِلَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { لَا تُظْهِرْ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ ، فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَبْتَلِيكَ } رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وفيه ضعف.

ويُروى من حديث ابن مسعود بإسناد فيه ضعف : " البلاء موكل بالمنطق فلو أن رجلاً عيَّر رجلاً برضاع كلبة لرضعها " .

وقال الحسن البصري رحمه الله : " كان يقال : (من عيَّر أخاه بذنب تاب منه لم يمت حتى يبتليه الله به) .

وقد رُوي هذا المعنى عن جماعة من السلف .

ولما ركب ابن سيرين الدَّيْن وحبس به قال : (إني أعرف الذنب الذي أصابني هذا عيَّرت رجلاً منذ أربعين سنة فقلت له : يا مفلس) .

كأن تشمت بالآخرين لعدم نفيرهم، أو لانحرافهم عن الجادة وطريق الجهاد، فالتعيير بالذنب نوع من إظهار الشماتة بالمسلم، إن الله عز وجل قد يعافي أخاك من

المعصية التي وقع فيها، وقد يغفر له تقصيره وذنبه، ويهيئ له سبل التوبة والعودة والإنابة، ولكنك لا تدري إن ابتلاك الله عز وجل بمثل ما وقع فيه أخوك، هل ستعافى أم لا؟ هل ستتوب أم لا؟ هل سيغفر لك الله ويقبل توبتك أم لا؟.

قال ابن حبان رحمه الله :" فمن اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه، وتعب بدنه، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه؛ فإن أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم، وأعجز منه من عابهم بما فيه" أ هـ .

ومما روي من روائع الإمام ابن القيم قوله:" إن تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا وأشد ذنبا من المعصية ذاتها، وذلك لأنه يحمل في طياته معاني التكبر والغرور بالطاعة لدى صاحبه، ويعبر عن تزكية النفس وشكرها، ووصفها ضمنيًّا بالبراءة من الذنب، والتنزه عن المعصية" أ هـ .

ويضيف ابن القيم: "ولعل كسر نفس أخيك بسبب ما وقع فيه من ذنب، وما حدث له من الذلة والخضوع، بسبب ما اقترف من معصية، وتخلصه من مرض الكِبر والعُجب، ووقوفه بين يدي الله منكس الرأس، خاشع الطَّرْف، منكسر القلب، لعل هذا أنفع له وخير من صولة طاعتك وزهوك بها، والمن بها على الله وعلى خَلقه" أ هـ .

ومما أثر من حكم ابن عطاء الله السكندري قوله: (رب معصية أورثت ذُلاً وانكسارًا، خير من طاعة أورثت عزًّا واستكبارًا). وكلام ابن عطاء الله يتسق مع ما قاله ابن القيم من أنه "ما أقرب المذنب العاصي من رحمة الله، وما أقرب المغرور

المتكبر من مقت الله! إن الذنب الذي تَذِلُّ به لله عز وجل، أحب إليه من طاعة تَمُنُّ بها عليه سبحانه، فإنك إن تبيت نائمًا وتصبح نادمًا، خير من أن تبيت قائمًا وتصبح معجبًا، فإن المعجب لا يصعد له عمل، وإنك إن تضحك وأنت معترف، خير من أن تبكي وأنت مُدِل، وأنين المذنبين أحب إلى الله عز وجل من زَجَل المسَبِّحين المدِلِّين". أ هـ

وقال الشاعر:

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أناخ بآخرينـــــــا

فقل للشامتين بنا أفيقـــوا سيلقى الشامتون كما لقينا

السبب الرابع والعشرون / اقتصار العامل على جانب واحد من جوانب الدين

كأن يجعل همه الكل في الجهاد فحسب ، ملغياً كل شيء غيرها من حسابه ، أو يجعل همه الشعائر التعبدية ، تاركاً كل ما سواها ، أو يقتصر على فعل الخيرات وراعية الآداب الاجتماعية ، غاضاً الطرف عما عداها فكل هؤلاء وأمثالهم تأتي عليهم أوقات يصابون فيها لا محالة بالفتور ، وهذا أمر بديهي ، نظراً لأن دين الله

موضوع لاستيعاب الحياة كلها ، فإذا اقتصر واحد من الناس على بعضه فكأنما أراد أن يحيا بعض الحياة ، لا كل الحياة ، ثم إذا بلغ الذروة في هذا البعض يتساءل : وماذا بعد ؟ فلا يجد جواباً سوى الفتور إما بالعجز وإما بالكسل .

ولعل ذلك هو أحد أسرار الدعوة إلى أخذ منهج الله كلاً بلا تبعيض ، ولا تجزيء .

ولهذا الشريعة الإسلامية جاءت متنوعة من أجل ألا يملَّ العامل، فلو كانت شكلاً واحداً، لرأيت النفس تميل ويصيبها الفتور ،لكن من فضل الله تعالى أنه نوعها، من صلاة وصيام وصدقة وذكر وأمر بمعروف ونهي عن منكر وهلمَّ جراً .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } .

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية : "هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا {فِي السِّلْمِ كَافَّةً} أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئا، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه، تركه، بل الواجب أن يكون الهوى، تبعا للدين، وأن يفعل كل ما يقدر عليه، من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه وينويه، فيدركه بنيته " أ هـ

من الإشكالية التي نجدها عند بعض الشباب المجاهد أن يهمل جميع الجوانب ويقتصر على جانب واحد كونه مجاهداً، فتراه يقصر في جوانب كثيرة من جوانب النوافل، كونه يرى نفسه قد بلغ ذروة الإسلام وهو الجهاد .

السبب الخامس والعشرون/ الافتتان بالدنيا

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "إن الدنيا حلوة خضرة. وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء" رواه مسلم .

قال العلامة السعدي رحمه الله :"أخبر صلّى الله عليه وسلم في هذا الحديث بحال الدنيا وما هي عليه من الوصف الذي يروق الناظرين والذائقين. ثم أخبر أن الله جعلها محنة وابتلاء للعباد. ثم أمر بفعل الأسباب، التي تقي من الوقوع في فتنتها.

فإخباره بأنها حلوة خضرة يعم أوصافها التي هي عليها. فهي حلوة في مذاقها وطعمها، ولذاتها وشهواتها، خضرة في رونقها وحسنها الظاهر، كما قال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ} وقال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} فهذه اللذات المنوعة فيها، والمناظر البهيجة، جعلها الله ابتلاء منه وامتحاناً، واستخلف فيها العباد لينظر كيف يعملون؟

فمن تناولها من حلها، ووضعها في حقها، واستعان بها على ما خلق له من القيام بعبودية الله، كانت زاداً له وراحلة إلى دار أشرف منها وأبقى، وتمت له السعادة الدنيوية والأخروية.

ومن جعلها أكبر همه، وغاية علمه ومراده، لم يؤتَ منها إلا ما كتب له. وكان مآله بعد ذلك إلى الشقاء، ولم يهنأ بلذاتها ولا شهواتها إلا مدة قليلة. فكانت لذاته قليلة. وأحزانه طويلة " أ هـ .

قدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافت صلاة الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا له، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم وقال: (أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء)، قالوا: أجل يا رسول الله، قال: (فأبشروا وأمّلوا ما يسركم، فو الله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم).

قال ابن بطال: "فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها ، فلا يطمئن إلى زخرفها، ولا ينافس غيره فيها. ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى؛ لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى، والغنى مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجر إلى هلاك النفس غالبا، والفقير آمن من ذلك" أ هـ .

قال ابن حجر: "قوله: ((فتنافسوها)) التنافس: من المنافسة، وهي الرغبة في الشيء ومحبة الانفراد به والمغالبة عليه ، وأصلها من الشيء النفيس في نوعه.

قوله: ((فتهلككم)) لأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه، فتمنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك".

روى الترمذي وأبو داود عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ التُّجِيبِيِّ قَالَ: كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةَ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا: { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلاحِهَا وَتَرْكَنَا الْغَزْوَ، فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ.

البعضُ ينشغلُ في طلب الرزق ويُذهِبُ جلَّ وقته فِيه ويتعللُ بقلة ذات اليد وحاجةِ الأولاد. ونسي أن رزقه مكفولٌ له، وأن طلبَ الرزق لم يمنع الصحابةَ والتابعين وسلفَ الأمة من الجهاد في سبيل الله .

قال ﷺ: إن روحَ القدسِ نفثَ في رُوعي أنه لن تموتَ نفسٌ حتى تستكملَ رزقَها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاءُ الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينالُ إلا بطاعته رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وأبو نعيم عن جابر، والبزار عن حذيفة، والحاكم عن ابن مسعود، وأبو نعيم عن أبي أمامة.

قال ابن القيم رحمه الله : " جمع النبي ﷺ في قوله: فاتقوا الله وأجملوا في الطلببين مصالحِ الدنيا والآخرة ونعيمِها ولذاتِها، إن ما ينالُ بتقوى الله وراحة القلب والبدن وترك الاهتمام والحرص الشديد والتعب والعناء، والكد والشقاء في طلب الدنيا، إنما ينال بالإجمال في الطلب، فمن اتقى الله فاز بلذة الآخرة ونعيمها، ومن أجمل في الطلب استراح من نكد الدنيا وهمومها، فالله المستعان.

قد نادت الدنيا على نفسها لو كان في ذا الخلق من يسمع

كم واثق بالعيش أهلكه وجامعٍ فرقت ما يجمع " . أ هـ

فبعض الناس كانوا في صفوف أهل الجهاد، اشتغلوا بالتجارة، وبعضهم ربما اشتغل بالتجارة لسبب ديني أن يقول: أكسب عيشاً حلالاً وأتصدق وأدعم المسلمين بدلاً من أن أترك الفسقة يعملون أنا أدخل في التجارة، لكن لا يدخل بمقدمات صحيحة، ولا بعهدٍ متين مع الله، ولا بنفسية خالية من الشح، ولكنه يدخل على وهنه، ويتغير شيئاً فشيئاً، حتى يكون في النهاية بعض الناس المتساهلين من التجار أحسن منه وأكثر صدقاتٍ منه، ويتوسع حتى يقع في الحرام، ويترك الواجبات وقد لا يخرج صدقة فصدقاته شحيحة، لو قارنت نسبة الصدقات التي كان يتصدق بها وهو مجاهد لوجدت رصيد التصدق وهو مجاهد أكثر مما تصدق وهو تاجر: { وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ } .

إن أفضل الطرق والوسائل لتحصيل الرزق؛ هو الغنيمة التي شرعها الله لعباده المؤمنين، {واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن الله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير}.

وما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث: (جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري...).

وفي آخر الزمان يأتي أناس كما قال ﷺ : (ليأتين على الناس زمان؛ قلوبهم قلوب الأعاجم؛ حب الدنيا، سنتهم سنة الأعراب، ما أتاهم من رزق جعلوه في الحيوان، يرون الجهاد ضررا، والزكاة مغرما) صححه الألباني

قال الحق تعالى " يأيها الذين ءامنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون"

وقال سيد قطب رحمه الله في كتابه العظيم الظلال:" كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تتهاوى نفوسهم ولا تذل، ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الثراء والوجدان، وما يغريان به من متاع، وما يثيرانه من شهوات وأطماع!

إن الابتلاء بالشدة قد يثير الكبرياء، ويستحث المقاومة ويجند الأعصاب، فتكون القوى كلها معبأة لاستقبال الشدة والصمود لها .. أما الرخاء فيرخي الأعصاب

وينيمها ويفقدها القدرة على اليقظة والمقاومة ..لذلك يجتاز الكثيرون مرحلة الشدة بنجاح، حتى إذا جاءهم الرخاء سقطوا في الابتلاء!" أ هـ.

السبب السادس والعشرون/السجن

قال الشيخ أبو قتادة حفظه الله : " فالسجن بلاء: إمّا أن يكسّر، أو يعصر، أو يثمر فيخرج صاحبه منه منقّى من كلّ الشّوائب، شوائب الأفكار، وشوائب النّفس، فتترقّى مدارك المرء، وتنصقل نفسه في تطوّرها وتربيتها، فالسّجن لا يمدح إلاّ بمقدار استفادة المرء منه، لا من حيث هو في نفسه ممدوحاً مرغوباً، فقد ينتكس المرء فيه، وقد يخرج منه كما دخل جهلاً وعماءً وسوء خلق، وقد يرتقي فيه، وكلّ هذا بحسب المرء ونظره إلى ما تمرّ به الحياة من مظاهر وظواهر، فليس السّجن مرتبة مدحيّة، ولا هو بالذي يطلبه المرء ليكون الأفضل بين أقاربه، ولكن ينظر إلى مقدار اكتساب المرء من هذه التّجربة " .

وقال الشيخ أبو مُحَمَّد المقدسي حفظه الله: "السجن بلاء إما أن يُثمر أو يَكسر أو يُعكر..

هذه المقولة نردّدها نحن خريجو السجون كما يحلوا للبعض تسميتنا وهي مقولة تكرّست من مشاهداتنا في السجون ، ولذلك فهي تصف حقيقة السجن وآثاره المتباينة على من يدخلونه ويعيشون في أقبيته وبين قضبانه ويمكثون في زنازينه ويعايشون ساحات تعذيبه.

ومن لم يعايش ذلك ويعرفه عن قرب فقد يعجب أو يفاجأ بما يصدر عن كثير من رواد السجون من تقلبات أو تصريحات..

أما من عايشه وذاق ويلات بلائه وصنوف الأذى وفنون التعذيب في ساحاته فربما تروّى وتريّث قبل أن يطلق أحكامه على بعض أهله إن بدرت منهم بعض التصريحات العكرة أو حتى المنكسرة ، ويتريّث في متابعة فتاويهم المناقضة لمنهجهم والتي قد تصدر تحت الإكراه..

فالسجين قاصر الأهلية لمظنة تعرضه للضغط والإكراه ؛ ولذلك لا يحل أن يحمل المسؤولية الكاملة عن أقواله حتى يخرج من الأسر والقيد فيبين عن أقواله مختاراً دون أي ضغط أو إكراه ؛ ويتأكد ذلك في مشايخ التيار الجهادي لضراوة عداوة الطواغيت لهم وشدة ضغطهم عليهم.. فبدهي أن شدة عداوتهم لمن جرّد سيفه في وجوههم أو حرّض على ذلك ليست كعداوتهم لغيره..

ولذلك نصحنا كل من زارنا وراجعنا بما صدر عن الشيخ الخضير والشيخ ناصر الفهد وأمثالهم من المشايخ بعدم الإغترار بما صدر عنهم من الفتاوى أو التراجعات في الأسر أولا ، والتريث ثانيا وعدم إطالة ألسنتهم في أعراض هؤلاء المشايخ ، والدعاء لهم بأن ينجيهم الله من كيد الطواغيت والتريث إلى أن يفك الله أسرهم...

ولذلك كففنا ألسنتنا عن قيادات الجماعة الإسلامية في مصر لما خرج عنهم ما خرج من تراجعات في السجون تحت مسمى المراجعات ولازلنا إلى اليوم نتحفظ في كلامنا على من لا زال منهم في الأسر ونحفظ لهم سابقة دعوتهم وجهادهم وبلائهم في الله ، بخلاف من قد خرجوا أو كانوا بالخارج أصلاً فقد ساءنا إخلاد بعضهم إلى الأرض وما نسب إليهم من انتكاسات كما ساءنا جداً هجومهم على إخواننا المجاهدين في القاعدة ومبادرتهم بالتبري منهم ، ودعوتهم إلى التوبة مما يقومون به من عمليات جهادية ؛ وكأنهم قد اقترفوا منكراً من الفعل وزوراً ؛ معتمدين في التشنيع عليهم بدعاوى قتلهم للمسلمين واستهدافهم لمكة والمعتمرين ؛ على المعلومات التي تعلنها الحكومات الكافرة ويروجها إعلامها الخبيث ، مع أنهم أنفسهم قد جربوا كذب هذه الحكومات وإعلامها وقد اكتووا بناره من قبل !! وإلا فهل يصدق مسلم عاقل أن مجاهدي القاعدة وأمثالهم من المجاهدين يمكن أن يستهدفوا المسلمين سواء كانوا في الرياض أو جدة أو غيرها ؛ فضلاً عن استهداف المعتمرين في مكة البلد الحرام ؟! اللهم إلا إذا كانوا يعدّون عملاء السي آي إيه والإف بي آي الذين قد طفحت بهم الجزيرة من المسلمين ، أو أنهم يقصدون بالمعتمرين الطواغيت الذين

يعتمرون لالتقاط صور يروجونها على شعوبهم وللتضييق على المسلمين في مناسكهم...

نعم السجن قد يثمر ثمرات عظيمة عندما يوفق صاحب الدعوة أو المجاهد في استغلاله في طاعة الله وعبادته وحفظ كتابه وطلب العلم ونشر الدعوة ، والاستفادة من تجاربه وتجارب الآخرين ليخرج منه أصلب مراساً وأشد تمسّكاً بدعوته وثباتاً على جهاده ومنهاجه.

وقد يكسر بأن ينقلب المرء على عقبيه فيجعل فتنة الناس كعذاب الله فيبدّل ويغير ويتراجع ويُخلد إلى الأرض بعد أن عرف الحق وأبصره وسار على الدرب وتبيّنه.. فيغدو يُلبس الحق بالباطل وينحاز إلى عدوة أعداء الدين ، وصور ذلك كثيرة ومتنوعة ، نسأل الله العافية والسلامة وحسن الختام...

وقد يُعكّر.. والمعنى أنه قد يحرف المرء عن الجادة بحسب طبيعة المرء ، فإن كان إلى الشدة أميل انحرف به القيد والكبت والتعذيب إلى الغلو ، ومن كيس هؤلاء خرج الفكر السجوني التكفيري الذي كفّر الخلائق بالعموم والمجتمعات بالجملة ، وصار التكفير عندهم لا يتّبع الدليل بل عبارة عن ردود أفعال انتقامية وتشنجية لا تستثني أحداً إلا من كان على طريقتهم واعتقد معتقداتهم بحذافيرها وإن كانت طبيعة السجين إلى اللين أميل انحرف به إلى التجهم والإرجاء العصري أو التفريط والمداهنة وتتبّع الرخص أو قل زلات العلماء وأخطائهم وتبنيها لا عن قناعة وتفهّم

واستدلال؛ بل لمناسبتها لرغباته وتوجهاته التي مال إليها في ضيق السجن ، وبنات أفكاره التي ارتضاها وانحرف إليها عقله المعيشي لشدة القيد...

هذه كلها آفات عايشنا أهلها ، ونجانا الله تعالى بفضله ومنّه وكرمه وإحسانه وتوفيقه وتثبيته وحده ؛ من أهل الإفراط وإفراطهم وأهل التفريط وتفريطهم..

أضف إلى هذا أن فتنة السجن وأذى أعداء الله فيه تتفاوت تبعاً للبلاد المختلفة وضراوة التعذيب فيها ، وتبعاً لمجاهرة صاحب الدعوة بدعوته وعقيدته الحقة ، وتبعاً لمدى قربه من التيار الجهادي الأشد عداوة للطواغيت ، وأيضاً تبعاً للمراحل التي يمر بها المعتقل ، فأول أيام الاعتقال حيث الحبس الانفرادي والتحقيق المتواصل وساحات التعذيب ومنع الاتصال مع العالم الخارجي ، هذه الظروف أشد من ظروف السجين بعد استقرار أمره ونقله إلى السجن العام ، حيث يتيسر اتصاله بالناس...

ومعرفة تفاصيل هذا كله ، وفي أي المراحل والظروف صدر ما صدر عن المعتقل يمكن من خلاله تقدير مصداقيته وقيمته..وعلى كل حال يبقى السجن عموما مظنة للضغط والإكراه فالسجين ما دام في القيد والأسر فهو عرضة لتقلب ظروفه ونقله وتحويله إلى سجن آخر وتعرضه إلى ضغوط مفاجئة ، وغير ذلك من الأحوال التي يجب مراعاتها والنظر فيها عند تمحيص ما يصدر عن السجناء من فتاوى وتصريحات.. ويتأكد ذلك إذا جاءت مناقضة لنهجهم وسيرتهم الأولى " . أ هـ

ويقول الشيخ أبو مُحَّد المقدسي حفظه الله :"وعندما جاءني الأهل بخبر وفاة الوالد رحمه الله وأنا في زنزانتي بعد انتظار ووعود ومماطلات لرؤيته في أيام مرضه الأخيرة قلت لهم لقد كان في وسع القوم أن يخرجوني لرؤيته قبل وفاته لأقف إلى جنبه في هذه اللحظات .. وإذ لم يفعلوا ذلك ظنا منهم أنني سأساوم أو أنكسر أمام هذه الضغوط أو أرفع الراية البيضاء .

فأقول لكم ولهم: والله لو مات أهلي أجمعون واحدا واحدا؛ أمي وأولادي وزوجاتي وإخواني والجميع، لا تحلموا أن أتراجع عن حرف واحد أعتقد وأدين الله أنه حق من ديني ولو أمضيت ما تبقى من حياتي في الزنزانة.

فإن أبي ووالدتي وأهلي لدين مُحَّد منهم وقاء

وأقول هذا على مسمعهم ولينقلوه لأسيادهم .. وها أنا أكرره اليوم أيضا ".

ويقول الشيخ أبو مُحَّد أيضاً : "وأقول كما قلت لبعض المحققين في جلسات متكررة: أتعرف "كيم سونغ ميونغ" الكوري الجنوبي ؟ فإنه لن يكون بإذن الله أثبت مني ! وحين كان يسأل عنه! كنت أعرفه بأنه صاحب عقيدة شيوعية خاوية، ومع ذلك فهو أقدم سجين شيوعي سجن في كوريا الجنوبية على معتقداته الشيوعية في زنزانة بحجم خزانة الثياب لمدة 44 سنة لم يتراجع خلالها لحظة واحدة عن إيمانه بالشيوعية حتى أفرج عنه وهو على تصلبه رغم اندحار الشيوعية وتفكك الإتحاد السوفييتي وتراجع ملايين الشيوعيين عن مبادئهم .. ولقد اعتبرته منظمة العفو الدولية أقدم سجين سياسي .

خرج هذا السبعيني من زنزانته التي أمضى بها شبابه وبقية حياته ليقول للعالم رغم وهن جسده الذي لم يكن يحمله حتى إنه كان يتوكأ على أصدقائه .

ليتمكن من الوقوف أمام كاميرات الصحافيين وقف يقول بلسان حاله للعالم أجمع ولمن حبسوه خاصة: إنكم إن أوهنتم جسدي وكسرتم عظمي وظهري فلم ولن توهنوا إرادتي وتكسروا عزيمتي .

مجاهد جمال رفعت العتيبي رحمه الله سجن في سجون الأمن السياسي في سوريا في زنزانة انفرادية عفنة مظلمة تملؤها الطحالب وكان المصحف ممنوعا كان يتشوق لكل آية تصل إلى مسامعه من المساجد البعيدة ويأخذ في تكرارها حتى يحفظها؛ وتجرأ ذات مرة فطلب مصحفا فجاءه الجواب جرجرة من الزنزانة وضربا وصبا لأصناف العذاب عليه وسط كيل من الشتائم القذرة والسباب السافل.

قال لقد قلت للحارس يوم سحبوني بعد الضرب إلى زنزانتي: والله لو أعطيتموني مصحفا لما سألت بزنزانتكم هذه ولو مكثت فيها ألف سنة " .

تالله ما الدعوات تهـــزم بالأذى   أبداً وفي التأريخ بر يمينـــــي

ضع في يدي القيد ألهب أضلعي   بالسوط ضع عنقي على السكين

لن تستطيع حصار فكري ساعـة   أو نزع إيماني ونور يقينـــــي

فالنور في قلبي و قلبي في يدي   ربي و ربي حافظي ومعينـــــي

سأعيش معتصماً بحبل عقيـدتي   وأموت مبتسماً ليحيا دينـــــي

السبب السابع والعشرون / التعذر بعدم وجود البرامج والخُطط

وإلقاءُ اللوم على المشايخ والأمراء في ذلك وينتظر منهم كل شيء.

ولا يفكرُ يوماً أن يضعَ برنامجاً أو خطة في محيطِهِ الصغيرِ الذي يعايشه فيه، فيجلس ينتظر البرنامج بزعمه، بينما لو أراد أن يبني عملاً خاصاً به، لخطط خططاً لا تحصى، ولوجدته يسأل أهل الخبرة من أجل انجاح عمله .

وقد قال جالسون :" الخاملون لا تنتظر منهم أفكاراً جديدة في تطوير الأساليب والوسائل ، ومن ظن ذلك فقد اعتمد على الأوهام والأحلام، إن الذي لا يعيشُ همَّ الدعوة والجهاد وينامُ ويستيقظُ عليها محال أن ترد عليه أفكارٌ في تطويرها والرفع من شأنها : ليست الثكلى كالمستأجرة.

ورحم الله سيد قطب عندما قال في الظِلال : " وهناك حقيقة أخيرة نتعلمها من التعقيب القرآني على مواقف الجماعة المسلمة التي صاحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتي تمثل أكرم رجال هذه الأمة على الله ... وهي حقيقة نافعة لنا في طريقنا إلى استئناف حياة إسلامية بعون الله . إن منهج الله ثابت ، وقيمه وموازينه ثابتة ، والبشر يبعدون أو يقربون من هذا المنهج ، ويخطئون ويصيبون في قواعد التصور وقواعد السلوك ، ولكن ليس شيء من أخطائهم محسوباً على المنهج ، ولا مغيراً لقيمه وموازينه الثابتة . وحين يخطئ البشر في التصور أو السلوك فإنه يصفهم

بالخطأ ، وحين ينحرفون عنه فإنه يصفهم بالانحراف ولا يتغاضى عن خطئهم وانحرافهم مهما تكن منازلهم وأقدارهم ولا ينحرف هو ليجاري انحرافهم.

ونتعلم نحن من هذا أن تبرئة الأشخاص لا يساوي تشويه المنهج ! وأنه من الخير للأمة المسلمة أن تبقى مبادئ منهجها سليمة ناصعة قاطعة ، وأن يوصف المخطئون والمنحرفون عنها بالوصف الذي يستحقونه أياً كانوا وألا تسوَّغ أخطاؤهم وانحرافاتهم أبداً بتحريف المنهج ، وتبديل قيمه وموازينه ؛ فهذا التحريف والتبديل أخطر على الإسلام من وصف كبار الشخصيات المسلمة بالخطأ أو الانحراف ؛ فالمنهج أكبر من الأشخاص ، والواقع التاريخي للإسلام ليس هو كل فعل ، وكل وضع صنعه المسلمون في تاريخهم وإنما هو كل فعل وكل وضع صنعوه موافقاً تمام الموافقة للمنهج ومبادئه وقيمه الثابتة وإلا فهو خطأ أو انحراف لا يحسب على الإسلام وعلى تاريخ الإسلام ، إنما يحسب على أصحابه وحدهم ، ويوصف أصحابه بالوصف الذي يستحقونه : من خطأ أو انحراف أو خروج على الإسلام .

إن تاريخ الإسلام ليس هو تاريخ المسلمين ولو كانوا مسلمين بالاسم أو اللسان ، إن تاريخ الإسلام هو تاريخ التطبيق الحقيقي للإسلام في تصورات الناس وسلوكهم ، وفي أوضاع حياتهم ونظام مجتمعاتهم . فالإسلام محور ثابت تدور حوله حياة الناس في إطار ثابت ؛ فإذا هم خرجوا عن هذا الإطار أو إذا هم تركوا ذلك المحور بتاتاً فما للإسلام وما لهم يومئذ ؟ وما لتصرفاتهم وأعمالهم هذه تحسب على الإسلام ، أو يفسر بها الإسلام ، بل ما لهم هم يوصفون بأنهم مسلمون إذا خرجوا عن منهج الإسلام ، وأبوا تطبيقه في حياتهم ، وهم إنما كانوا مسلمين ؛ لأنهم يطبقون هذا

المنهج في حياتهم ، لا لأن أسماءهم أسماء مسلمين ، ولا لأنهم يقولون بأفواههم إنهم مسلمون ؛ وهذا ما أراد الله سبحانه أن يعلمه للأمة المسلمة وهو يكشف أخطاء الجماعة المسلمة ويسجل عليها النقص والضعف ، ثم يرحمها بعد ذلك ويعفو عنها ويعفيها من جرائر هذا النقص والضعف في ساحة الابتلاء " أ هـ .

قال أبو سعد العاملي : "ولدى الذين يحسبون أنفسهم أنهم على شيء، تجدهم يعيبون كل مبادرة ويرفضون كل عملية نهوض، ويهربون من كل المسؤوليات، بحجة أن القيادات ليست في مستوى تقليد المهام، {أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَال} ،إنها والله السنن، "لتتبعن سنن الذين من قبلكم حذو القذة بالقذة " كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن قبل كانوا يطلبون ويدعون الله أن يبعث من يقودهم ليتخلصوا مما هم فيه من الذل والهوان {اِبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الله}، أو بلسان العصر: متى تظهر جماعات الحق لننتمي إليها ونكثِّر سوادها ونكون من جنودها المخلصين، ولكن حينما تظهر هذه الجماعات وتتقدم الصفوف وتنادي الناس للانضمام إليها، يخرج علينا هؤلاء ليسلقوها بألسنة حداد: من خوَّلهم التحدث بأسمائنا؟ ومن أعطاهم الصلاحيات لتقدم الصفوف؟ وهل لديهم الكفاءات اللازمة لتقليد مناصب القيادة؟ وهل لديهم العلم الشرعي المطلوب لإصدار هذه الفتاوى والقيام بهذه الأعمال؟ وغيرها من الحجج الواهية والأعذار الشيطانية. تماماً كما قال بنو إسرائيل من قبل {أَنّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْه} ولكن بلغة مختلفة ومن زاوية أخرى.

وحينما يظهر صدق هذه القيادات في الساحة بالبذل والعطاء وصدق المواقف والثبات على المبادئ والابتعاد عن الشبهات وإغراءات الطاغوت ، لا تجد هذه القواعد حينئذ سوى اللجوء إلى أساليب التسويف والتماطل {رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلاَ أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيب}.

إنها أساليب الجبناء، ووسائل للهروب من المواجهة واستحباب للذل والهوان والحرص على أي حياة" أ هـ.

السبب الثامن والعشرون / الانشغال بنقد الآخرين

تراه دائماً متذمراً، هذا لا يحسن القيادة، وذاك لا يعرف إدارة الجماعة، وفلان لا يصلح أميرا على كذا، وفلان لا يصلح للطباخة، وفلان لا يصلح لقيادة السيارة، وفلان لا يصلح أن يكون في مكان كذا ... الخ.

قال الحسن البصري في وصف أناسٍ مثل هؤلاء لما وجدهم قدِ اجتمعوا في المسجد يتحدثون: إن هؤلاء ملوا العبادة ووجدوا الكلامَ أسهلَ عليهم وقلَّ ورعُهم فتحدثوا .

وقال الوليد بن مزيد: سمعت الأوزاعي يقول: (إن المؤمنَ يقولُ قليلاً، ويعملُ كثيراً، وإن المنافقَ يتكلمُ كثيراً، ويعملُ قليلاً).

قال سعيد بن المسيب رحمه الله قال: (ليس من شريفٍ ولا عالمٍ ولا ذي فضلٍ إلا وفيه عيبٌ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تُذكرَ عيوبُه؛ فمن كان فضله أكثر من نقصه: وُهِبَ نقصُه لفضله).

قال مُحَمَّد بن سيرين رحمه الله : (ظلمٌ لأخيك أن تذكرَ منه أسوأ ما تعلم منه، وتكتُم خيرَه) .

قال النسابةُ البكريُّ لرؤبةَ بنِ العجاج: ما أعداء المروءة؟ قال: تخبرني، قال: بنو عمِّ السوء: إن رأوا حسناً ستروه، وان رأوا سيئاً أذاعوه.

قال ابن زنجي البغدادي:

يمشون في الناس يبغون العيوبَ لمن لا عيب فيه، لكي يستشرفَ العطبُ

إن يعلموا الخيرَ يخفوه، وإن علموا شرا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا.

ومن أعراض هذا المرض أيضاً: التهويلُ والمبالغةُ، واستعمال العدسةِ المكبرةِ للتفتيش عن صغائرِ الغَير.

فالعبد التقي الخفي لا ينشغل بذنوب العباد و ينسى نفسه كما قال صلى الله عليه وسلم : (يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه و ينسى الجذع أو الجدل في عينه معترضاً) وصححه الألباني.

وتعذر نفسك إذا ما أسـأت وغيرك بالعـذر لا تعـذر

وتبصر في العين منه القـذى وفي عينك الجذع لا تبصـر

وكأن ابن القيم رحمه الله تعالى يصفهم بقوله : " ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام ، والظلم ، والزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، ومن النظر المحرم ، وغير ذلك .

ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه ، حتى نرى الرجل يشار إليه بالدين ، والزهد ، والعبادة ، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالا ، وينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد ، بين المشرق والمغرب .

وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول " أ هـ

المنافقون قالوا كما قال تعالى :{ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا } { لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا } الذي لا يعمل لا يخطئ، ويستطيع أن يقول: لو ما فعلت كذا ما صار كذا، لكن الذي يعمل قد يجتهد فيخطئ أحياناً، لكن خطأ العامل خير من ذلك القاعد الذي لم يعمل شيئاً، ولئن يجتهد الإنسان فيعمل عملاً فيه نسبة من الخطأ خيرٌ من أن يقعد فلا يعمل شيئاً لا خطأً ولا صواباً.

قال الإمام مالك رحمه الله: (أَدْرَكْتُ بالمدينةِ أقواماً ليس لهم عيوبٌ فبحثوا عن عيوبِ الناس فذكر الناس لهم عيوبًا، وأدرکْتُ بها قوماً كانت لهم عيوبٌ سَكَتوا عن عيوبِ الناس فسكت الناس عن عيوبهم) .

قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة : " من قواعد الشرع والحكمة ايضا ان من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الاسلام تأثير ظاهر فإنه يحتمل له مالا يحتمل لغيره ويعفي عنه مالا يعفي عن غيره فإن المعصية خبث والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث بخلاف الماء القليل فإنه لا يحمل ادنى خبث ومن هذا قول النبي صلى الله عليه و سلم لعمر وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وهذا هو المانع له صلى الله عليه و سلم من قتل من حس عليه وعلى المسلمين وارتكب مثل ذلك الذنب العظيم فأخبر صلى الله عليه و سلم انه شهد بدرا فدل على ان مقتضى عقوبته قائم لكن منع من ترتب اثره عليه ماله من المشهد العظيم فوقعت تلك السقطة العظيمة مغتفرة في جنب ماله من الحسنات .

ولما حض النبي صلى الله عليه و سلم على الصدقة فأخرج عثمان رضى الله عنه تلك الصدقة العظيمة قال ماضر عثمان ما عمل بعدها وقال لطلحة لما تطاطأ للنبي صلى الله عليه و سلم حتى صعد على ظهره الى الصخرة أوجب طلحة .

وهذا موسى كلم الرحمن عز و جل القى الالواح التي فيها كلام الله الذي كتبه له القاها على الارض حتى تكسرت ولطم عين ملك الموت ففقأها وعاتب ربه ليلة الاسراء في النبي صلى الله عليه و سلم وقال شاب بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي واخذ بلحية هارون وجره اليه وهو نبي الله وكل هذا لم ينقص من قدرة شيئا عند ربه وربه تعالى يكرمه ويحبه فإن الامر الذي قام به موسى والعدو الذي برز له والصبر الذي صبره والاذى الذي اوذيه في الله امر لا تؤثر فيه امثال هذه الامور ولا تغير في وجهه ولا تخفض منزلته وهذا امر معلوم عند الناس

مستقر في فطرهم ان من له الوف من الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين ونحوها حتى انه ليختلج داعي عقوبته على إساءته وداعي شكره على إحسانه فيغلب داعي الشكر لداعي العقوبة كما قيل :

وإذا الجيب اتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع وقال آخر :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحدا ... فأفعاله اللاتي سررن كثير " أ هـ

وانتقاداتهم ليست لله إنما هي لشهوة في نفوسهم، روى ابن الأثير في «كامله» من أحداث مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه: " وأما عمرو بن الحمق فوثب على صدره رضي الله عنه وبه رمقٌ، فطعنه تسع طعنات، قال: فأما ثلاثٌ منها فإني طعنتهن إياه لله تعالى، وأما ستٌّ فلما كان في صدري عليه، وأرادوا قطع رأسه، فوقعت نائلةٌ عليه وأمُّ البنين، فصاحتا وضربتا الوجوه، فقال ابن عديس: اتركوه! وأقبل عمير بن ضابئ، فوثب عليه، فكسر ضلعاً من أضلاعه "

ويقول الشيخ مُحَّد أحمد الراشد حفظه الله معلِّقاً: "هكذا أعداء الإسلام دوماً يريدون قطع رأس الجماعة، وكسر أضلاع تنظيماتها، والمسوغ «لله»، كما قالها ابن الحمق! وبصيحة «لله» هذه ضاع ألوفٌ من شباب الدعوة بالأمس القريب، وثُبّطت جموعٌ، وكُشِفت أسرارٌ، ومُلئت سجون. ولو صدقوا لقالوا مثل ما قال ابن الحمق مستدركاً: ستٌّ لِمَا في الصدر " . أ هـ

السبب التاسع والعشرون / قوة الحساسيةُ المرهفةُ من النقدِ أو اللومِ

فالبعض لا يريدُ أن يُلامَ أو يُحاسبَ، أو يُنتقدَ، فإذا واجه ذلك، تأثرَ وانقطعَ عن العمل وانحرف عن الطريق ، إما بالشعور بالإحباطِ بأنه لا يحسنُ، أو أنه وصل إلى مقامٍ لا ينبغي أن ينتقدَ، أو أن مثلَ فلان كيف يوجهُهُ وينتقدُهُ.

وأين هذا من عمر ﷺ حيث قال: رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا!.

وقد صعد مرة على المنبر، فقال : (أيها الناس! اسمعوا وأطيعوا.

فقام رجل من الرعية من عامة الناس، وقال: لا سمع ولا طاعة.

فقال: لِمَ رحمك الله؟ قال: لأنك أعطيتنا ثوباً ثوباً.

ولبست ثوبين.

فقال: قم يا عبد الله بن عمر .

فيقوم ابن عمر، ويشرح القضية أنه قد أعطاه ثوبه، فلبس ثوبه ولبس ثوب ولده عبد الله؛ لأنه رجل كبير جسيم.

ومرة أخرى يقول: (لو رأيتم فيّ اعوجاجاً.

يقول له رجل: لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا) .

قال ابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين : " واعلم : أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه، فمن كانت له بصيرة، لم تخف عليه عيوبه، وإذا عرف العيوب أمكنه العلاج، ولكن اكثر الناس جاهلون بعيوبهم، يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه . فمن أراد الوقوف على عيب نفسه فله في ذلك أربع طرق : الطريقة الأولى : أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس، يعرف عيوب نفسه وطرق علاجها، وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده، فمن وقع به، فقد وقع بالطبيب الحاذق فلا ينبغي أن يفارقه . الطريقة الثانية : أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً، وينصبه رقيباً على نفسه لينبهه على المكروه من أخلاقه وأفعاله . وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا . وسأل سلمان رضى الله عنه لما قدم عليه من عيوبه، فقال : سمعت أنك جمعت بين إدامين على مائدة، وان لك حلتين : حلة بالليل، وحلة بالنهار، فقال : هل بلغك غير هذا ؟ قال : لا، قال : أما هذا فقد كفيتهما . وكان عمر رضى الله عنه يسأل حذيفة : هل أنا من المنافقين ؟ وهذا لأن كل من علت مرتبته في اليقظة زاد اتهامه لنفسه، إلا أنه عز في هذا الزمان وجود صديق على هذه الصفة، لأنه قل في الأصدقاء من يترك المداهنة، فيخبر بالعيب أو يترك الحسد، فلا يزيد على قدر الواجب . وقد كان السلف يحبون من ينبههم على عيوبهم، ونحن الآن في الغالب أبغض الناس إلينا من يعرفنا عيوبنا . وهذا دليل على ضعف الإيمان، فإن الأخلاق السيئة كالعقارب، لو أن منبهاً نبهنا على أن تحت

ثوب أحدنا عقرباً لتقلدنا له منة، واشتغلنا بقتلها، والأخلاق الرديئة أعظم ضرراً من العقرب على ما لا يخفى " أ هـ.

وهذا عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد، التابعي العالم، الزاهد، يقول لمولاه مزاحم: إن الولاةَ جعلوا العيونَ على العوام، وأنا أجعلك عيني على نفسي، فإن سمعت مني كلمةً تَربأُ بي عنها، أو فعلاً لا تحبُّه، فعظني عنده، وانهني عنه

قال بلال بن سعد لصاحبه: بلغني أن المؤمن مرآةُ أخيه، فهل تستريبُ من أمري شيئاً؟

قال ميمون بن مهران: قولوا لي ما أكرهُ في وجهي، لأن الرجلَ لا ينصحُ أخاه حتى يقولَ له في وجهه ما يكره .

قال بعض السلف: من حق العاقلِ أن يضيفَ إلى رأيه آراءَ العلماء، ويجمعَ إلى عقلِهِ عقولَ الحكماء، فالرأي الفذُّ ربما زلَّ، والعقل الفردُ ربما ضل.

السبب الثلاثون / لأنهم لا يذكر عملُهم أو ينوهُ به أو يحمدون عليه

وكأن عملَهم للناس، تجده يقول: ليس هنا أحدٌ يقدرُ الجهودَ أو ينظر في النتاج، أو يحترمُ العاملين، وما عندنا أحد ينزلُ الناسَ منازلَهم!!

وقال بعض السلف : لن يكون العبد من المتقين حتى يستوي عنده المادح والذام .

وصدق الربيع بن خيثم رحمه الله حيث قال: كل ما لا يراد به وجهُ الله: يضمحل.

وقال ابن الجوزي: " والصدقُ في الطلب منارٌ أين وجد يدلُّ على الجادة وإنما يتعثرُ من لم يخلص " . أ هـ

وقال الجيلاني رحمه الله: يا غلام: فقهُ اللسان بلا عمل القلب لا يخطيك إلى الحق خطوةً، السيرُ سيرُ القلب.

كان الثوري رحمه الله تعالى يقول: الزهد في الرياسة ومدح الخلق أشدّ من الزهد في الدينار والدرهم قال: لأن الدينار والدرهم قد يبذلان في طلب ذلك وكان يقول: هذا باب غامض لا يبصره إلا سماسرة العلماء.

وقال ابن رجب رحمه الله : ومن هذا الباب أيضاً أن يحب ذو الشرف والولاية أن يحمد على أفعاله ويثنى عليه بها ، ويطلب من الناس ذلك ويتسبب في أذى من لا يجيبه إليه ، وربما كان ذلك الفعل إلى الذم أقرب منه إلى المدح ، وربما أظهر أمراً حسناً ، في الظاهر وأحب المدح عليه وقصد به في الباطن شراً ، وفرح بتمويه ذلك وترويجه على الخلق ،

وهذا يدخل في قوله تعالى : { لا تَحْسَبَنَّ الَذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ويُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ العَذَابِ } ، فإن هذه الآية إنما نزلت فيمن هذه صفاته وهذا الوصف – أعني طلب المدح من الخلق ومحبته والعقوبة على تركه – لا يصلح إلا لله وحده لا شريك له . ومن هنا كان أئمة الهدى ينهون عن حمدهم على أعمالهم وما يصدر منهم من الإحسان إلى الخلق ، ويأمرون بإضافة الحمد على ذلك لله وحده لا شريك له فإن النعم كلها منه ... ا . هـ .

من أراد أن يعرف حقيقة العامل، يكون كما قال ابن القيم رحمه الله في الفوائد : "رأسًا في ذلك، يحتاج أن يكون شجاعًا مقدامًا، حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيّله، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه، و الطرق القواطع عنه، مقدام الهمّة، ثابت الجأش، لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم، و لا عذل عاذل، كثير السكون، دائم الفكر، غير مائلٍ مع لذة المدح و لا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته، لا تستفزّه المعارضات، شعاره الصبر و راحته التعب محبا لمكارم الأخلاق حافظا لوقته لا يخالط الناس إلا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحب " أ هـ.

وقال ابن القيم رحمه الله أيضاً في الفوائد : "لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فاقبل على الطمع أولا فأذبحه بسكين اليأس وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص فأن قلت وما الذي

يسهل علي ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح قلت أما ذبح الطمع فيسهله عليك علمك يقينا أنه ليس من شيء يطمع فيه الا وبيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتى العبد منها شيئا سواه وأما ازهد في الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمة ويشين الا الله وحده كما قال ذلك الأعرابي للنبي ان مدحي زين وذمي شين فقال ذلك الله عز و جل فازهد في مدح من لا يزينك مدحه وفي ذم من لا يشنيك ذم وارغب في مدح من كل الزين في مدحه وكل الشين في ذمه ولن يقدر على ذلك الا بالصبر واليقين " .

يهوى الثناء مبرز ومقصر   حب الثناء طبيعة الإنسان

روى حماد بن زيد عن أيوب قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين لو أتيت المدينةَ، فإن قضى الله موتاً، دفنت في موضع القبر الرابع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:(والله لأن يعذبني اللهُ بغير النار أحبُّ إلي من أن يعلمَ من قلبي أني أراني لذلك أهلاً).

الحادي والثلاثون / الخوف والهلع من المخلوقين

فتتحول مراقبتُهُ وخوفُهُ ورجاؤه إلى الخلق، ويوسوس له الشيطان في كلِّ عمل أو حركةٍ بأنه مؤاخذٌ به ومؤدبٌ عليه، فيترك كثيرا من الأعمال الصالحة، والأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر؛ فتتطبعُ نفسُه على ذلك، حتى لا يتمعر وجهُه في ذات الله أبداً!!

قال تعالى:{إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

قال ابن القيم رحمه الله :" ومتى شهد العبدُ أن ناصيتَه ونواصي العباد كلِّها بيد الله وحده يصرفهم كيف يشاء لم يخفهم بعد ذلك ولم يرجهم ولم ينزلهم منزلة المالكين، بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين، المتصرفُ فيهم سواهم، والمدبر لهم غيرُهم، فمن شهد نفسه بهذا المشهد صار فقرُهُ وضرورته إلى ربه وصفاً لازماً له، متى شهد الناسَ كذلك لم يفتقر إليهم، ولم يعلق أملَهُ ورجاءَهُ بهم، فاستقام توحيدُهُ وتوكلُهُ وعبوديتُهُ، ولهذا قال هود لقومه: { إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} " أ هـ.

ويقول ابن تيمية رحمه الله كما في الفتاوى : "ولن يخاف الرجل غير الله إلاّ لمرض في قلبه؛ كما ذكروا أن رجلاً شكا إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة ، فقال : لو صححت لم تخف أحداً . أي خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك ؛ ولهذا أوجب الله على عباده أن لا يخافوا حزب الشيطان ، بل لا يخافوا غيره تعالى، فَقَالَ

: { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } أَيْ يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ . وَقَالَ لِعُمُومِ بَنِي إسْرَائِيلَ تَنْبِيهًا لَنَا : { وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } . وَقَالَ : { فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ } وَقَالَ : { لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي } وَقَالَ تَعَالَى : { الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ } . وَقَالَ : { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ } وَقَالَ : { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ } وَقَالَ : { أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ } " أ هـ.

وقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أيضاً كما في الفتاوى :" وَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَسُوغُ فِي الْعَقْلِ وَلَا الدِّينِ طَلَبُ رِضَا الْمَخْلُوقِينَ لِوَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُمْكِنٍ . كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [رِضَا] النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُدْرَكُ . فَعَلَيْك بِالْأَمْرِ الَّذِي يُصْلِحُك فَالْزَمْهُ وَدَعْ مَا سِوَاهُ وَلَا تُعَانِهِ . وَالثَّانِي : أَنَّا مَأْمُورُونَ بِأَنْ نَتَحَرَّى رِضَا اللَّهِ وَرَسُولِهِ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : { وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ } وَعَلَيْنَا أَنْ نَخَافَ اللَّهَ فَلَا نَخَافُ أَحَدًا إلَّا اللَّهَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } . وَقَالَ : { فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ } وَقَالَ : { فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } { وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ } . فَعَلَيْنَا أَنْ نَخَافَ اللَّهَ وَنَتَّقِيَهُ فِي النَّاسِ ، فَلَا نَظْلِمَهُمْ بِقُلُوبِنَا وَلَا جَوَارِحِنَا وَنُؤَدِّيَ إلَيْهِمْ حُقُوقَهُمْ بِقُلُوبِنَا وَجَوَارِحِنَا ، وَلَا نَخَافَهُمْ فِي اللَّهِ فَنَتْرُكَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ خِيفَةً مِنْهُمْ . وَمَنْ لَزِمَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ كَانَتْ الْعَاقِبَةُ لَهُ كَمَا كَتَبَتْ

عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ : " أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ مَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ وَعَادَ حَامِدُهُ مِنْ النَّاسِ ذَامًّا ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ " .

فَالْمُؤْمِنُ لَا تَكُونُ فِكْرَتُهُ وَقَصْدُهُ إلَّا رِضَا رَبِّهِ وَاجْتِنَابَ سَخَطِهِ وَالْعَاقِبَةُ لَهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ " أ هـ .

يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل: "لقد ظل إمام التوحيد (في العالم الإسلامي) والدنا الشيخ مُحَمَّد حامد الفقي رحمه الله أكثر من أربعين عامًا مجاهدًا في سبيل الله. ظل يجالد قوى الشر الباغية في صبر، مارس الغلب على الخطوب واعتاد النصر على الأحداث، وإرادة تزلزل الدنيا حولها، وترجف الأرض من تحتها، فلا تميل عن قصد، ولا تجبن عن غاية، لم يكن يعرف في دعوته هذه الخوف من الناس، أو يلوذ به، إذ كان الخوف من الله آخذا بمجامع قلبه، كان يسمي كل شيء باسمه الذي هو له، فلا يُدهن في القول ولا يداجي ولا يبالي ولا يعرف المجاملة أبدًا في الحق أو الجهر به، إذ كان يسمي المجاملة نفاقًا ومداهنة، ويسمي السكوت عن قول الحق ذلا وجبنا " أ هـ .

فليتك تحلو والحياةُ مـــريرةٌ ... وليتك ترْضى والأنامُ غضابُ

إذا صحَّ منك الودُّ فالكُلُّ هيّنٌ ... وكلُّ الذي فوق الترابِ ترابُ

السبب الثاني والثلاثون / الزواجُ

وكثيراً ما يقع لمن تأخر عن الزواج، وهذه صفة ملازمة لمن سار في هذا الطريق، ولهذا تجد كثيرا من الأُسر إذا التحق ابنهم بالمجاهدين، قالوا له : تعال نزوجك من أجل يثنوه عن الجهاد ، فينشغلُ بلذة الشهوةِ عن الجهاد، مع أنه قبل النفير ربما ظل مطالباً بالزواج سنوات فلم يُزوج، فلما نفر فتح له الباب، من أجل يكسروه عن هذا الطريق، فكم من شبابنا سقط في هذا الوحل .

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وَفِي رِوَايَةٍ: لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ " متفق عليه.

قَالَ الإِمَامُ أَبُو زَكَرِيَّا النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : "وَمَعْنَى "فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ" : تَجَنَّبُوا الِافْتِتَان بِهَا وَبِالنِّسَاءِ، وَتَدْخُلُ فِي النِّسَاءِ الزَّوْجَاتُ وَغَيْرُهُنَّ، وَأَكْثَرُهُنَّ فِتْنَةً الزَّوْجَاتُ، لِدَوَامِ فِتْنَتهنَّ وَابْتِلَاءِ أَكْثَرِ النَّاسِ بِهِنَّ " .

والله تعالى يقول : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} .

قال الشوكاني في فتح القدير : " يعني : أنهم يعادونكم ويشغلونكم عن الخير ، ويدخل في ذلك سبب النزول دخولاً أوّلياً ، وهو أن رجالاً من مكة أسلموا ، وأرادوا أن يهاجروا ، فلم يدعهم أزواجهم ولا أولادهم ، فأمر الله سبحانه بأن يحذروهم ، فلا يطيعوهم في شيء مما يريدونه منهم مما فيه مخالفة لما يريده الله ،

والضمير في { فاحذروهم } يعود إلى العدوّ ، أو إلى الأزواج والأولاد لكن لا على العموم ، بل إلى المتصفين بالعداوة منهم " . أ هـ .

عن بشر الحافي رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى أنه قال :(ضاع العلم بين افخاذ النساء).

وقيل : (من أحب أفخاذ الخيل أفلح، ومن أحب أفخاذ النساء لم يفلح) .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع :"ايثار العزوبة للطالب وتركه التزويج .

المستحب لطالب الحديث أن يكون عزباً ما أمكنه، ذلك لئلا يقتطعه الاشتغال بحقوق الزوجة الاهتمام بالمعيشة عن الطلب" أ هـ .

ثم ذكر عن ابراهيم بن أدهم أنه قال: "ما أفلح من أحب أفخاذ النساء" .

وعن ابن نمير قال: قال لي سفيان: تزوجت؟ قلت: لا!

قال: ما تدري ما أنت فيه من العافية! .

وذكر النووي رحمه الله تعالى في تهذيب الأسماء واللغات عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى أنه قال: " مكثت أربعين سنة أسأل أصحابي عن أحوالهم في تزوجهم فما قال لي أحد منهم أنه وجد خيراً" أ هـ .

وقال أبو نصر السجزي رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى وهو من العلماء العزاب : (كنا متى تزوج أحدنا سقط عنه اسم طالب العلم) .

وصدق العرب حين قالوا:

(من تعود أفخاذ النساء لم يأت بشيء).

(تعس عبد الزوجة، فمن أطاعها فقد بدل نعمة الله كفراً).

(اتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر).

(أعدى عدوك زوجتك التي تضاجعك).

(لولا النساء لعبد الله حقاً حقاً).

الشيخ الشنقيطي رحمه الله صاحب إيضاح البيان : قد خاطبه بعض أقرانه في أمر الزواج فقال في ذلك وفي الحث على طلب العلم :

دعاني الناصحون إلى النكاح غداة تزوجَتْ بيض الملاح

فقالوا لي تزوج ذات دل خلوب اللحظ جائلة الوشاح

تبسم عن نوشرة رقاق يمج الراح بالماء القراح

كأن لحاظها رشقات نبل تذيق القلب آلام الجراح

ولا عجب إذا كانت لحاظ لبيضاء المحاجر كالرماح

فكم قتلا كميّا ذا ولاحى ضعيفات الجفون بلا سلا

فقلت لهم دعوني إن قلبي من العي الصراح اليوم صاحي

ولي شغل بأبكار عذارى كأن وجوهها ضوء الصباح

أراها في المهارق لابسات براقع من معانيها الصحاح.

أبيت مفكراً فيها فتضحى لفهم الفدم خافضة الجناح

أبحت حريمها جبراً عليها وما كان الحريم بمستباح .

وليس معنى هذا أنني أرغب عن الزواج بل المقصود أنه أحياناً يكون سببا لانتكاسة رجال . وإلا فإنني أشجع ليس على الزواج فحسب للمجاهد بل حتى على التعدد.

وقد بين الغزالي في إحياء علوم الدين مقاصد النكاح وفوائده : فقال : إن النكاح معين على الدين ، ومهين للشياطين ، وحصن دون عدو الله حصين ، وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين ، فما أحراه بأن تتحرى أسبابه ، وتشرح مقاصده وآدابه .

ثم قال : في الزواج فوائد خمسة : الولد ، وكسر الشهوة ، وتدبير المنزل ، وكثرة العشيرة ، ومجاهدة النفس بالقيام بهن .

ثم ذكر أنه إذا قصد بالزواج – التناسل كان قربة يؤجر عليها من حسنت نيته . وبين ذلك بوجوه :

أولا : موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان .

ثانيا : طلب محبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في تكثير من به مباهاة .

ثالثا : طلب البركة ، وكثرة الأجر ، ومغفرة الذنب بدعاء الولد الصالح له بعده .

وأكد الغزالي : أن الوجه الأول أقواها وأظهرها لذوي الألباب ، وضرب لذلك مثلا خلاصته : سيد أعطى عبده بذورا وآلات حراثة وأرضا صالحة للزراعة ، ووكل به رقيبا يستحثه ، فإن تراخى العبد في الحراثة والزرع ونحى ذلك الوكيل الذي يستحثه فقد استوجب غضب سيده وطرده ، والله تعالى خالق الزوجين الذكر والأنثى ، وزود كلا منهما بخواصه . وجعل الشهوة فيهما قوة دافعة إلى إظهار حكمته تعالى في التناسل والإنجاب ، فمن انحرف عن ذلك أو عارضه فهو متحد لسنن الله في الكون مستوجب لغضبه وسخطه " أ هـ

السبب الثالث والثلاثون / دخولُهُ في مجال لا يتلاءمُ مع شخصيته وقدراته

فيفشلُ فيصاب بإحباط فيدع العمل، ولا يحاول التغيير. ويترك الطريق كأن يدخل مع الاعلاميين أو مع الأمنيين ولا يتناسب معهم فيترك الجهاد، مع أن الواجب عليه أن ينتقل إلى مجال أخر يناسبه، ولا يترك الطريق .

قال علي بن أبي طالب ﵁:(قيمةُ كل امرئ ما يحسنه) .

يقول شيخ الاسلام بن تيمية : "العامة تقول :قيمة كل امرئ ما يحسنه و الخاصة تقول قيمة كل امرئ ما يطلبه" أ هـ .

وقد كان الصحابة ﵃ . متباينين في الطاقات والقدرات، وكل أخذ بالعمل الذي يحسنه، وما رؤي أحد منهم عاطلاً عن العمل، فخالد سيف الله المسلول، وأقرؤكم أُبَي، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل.

وهذا أبو ذر ﵁ من أكبر المؤثرين في الدعوة، حتى أسلمت جلُّ غفار على يديه، ومع ذلك لا يصلح للإمارة كما أخبره رسول الله ﷺ.

يقول أحد الكتاب : " في الحديث : ((كلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِق له)) . فلماذا تُعْسفُ المواهبُ ويُلْوى عنقُ الصِّفاتِ والقدراتِ لَيًا ؟! إن الله إذا أراد شيئاً هيَّأ أسبابه ، وما هناك أتْعَسُ نفْساً وأنْكدُ خاطراً من الذي يريدُ أنْ يكون غَيْرَ نَفْسِه ، والذكيُّ الأريبُ هو الذي يدرسُ نفسهُ ، ويسدُّ الفراغ الذي وُضع له ، إن كان في السَّاقةِ كان في السَّاقةِ ، وإنْ كان في الحراسةِ كان في الحراسةِ ، هذا سيبويه شيخُ النَّحْوِ ،

تعلَّم الحديث فأعياهُ ، وتبلَّد حسُّهُ فيه ، فتعلَّم النحو ، فَمَهَرَ فيه وأتى بالعَجَب العُجاب . يقولُ أحدُ الحكماءِ : الذي يريدُ عملاً ليس منْ شأنِهِ ، كالذي يزرعُ النَّخْل في غوطةِ دمشق ، ويزرعُ الأتْرُجَّ في الحجازِ .

حسانُ بنُ ثابتٍ لا يُجيدُ الأذان ، لأنهُ ليس بلالاً ، وخالدُ بنُ الوليد لا يقسمُ المواريث ، لأنه ليس زيد بن ثابتٍ ، وعلماءُ التربيةِ يقولون : حدِّدْ موقِعَكَ " أ هـ .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في تحفة المودود :" ومما ينبغي أن يعتمد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها فيعلم أنه مخلوق له فلا يحمله على غيره ما كان مأذونا فيه شرعا فإنه إن حمله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه وفاته ما هو مهيأ له فإذا رآه حسن الفهم صحيح الإدراك جيد الحفظ واعيا فهذه من علامات قبوله وتهيئه للعلم لينقشه في لوح قلبه ما دام خاليا فإنه يتمكن فيه ويستقر ويزكو معه وإن رآه بخلاف ذلك من كل وجه وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح وأنه لا نفاذ له في العلم ولم يخلق له مكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين وإن رآه بخلاف ذلك وأنه لم يخلق لذلك ورأى عينه مفتوحة إلى صنعة من الصنائع مستعدا لها قابلا لها وهي صناعة مباحة نافعة للناس فليمكنه منها هذا كله بعد تعليمه له ما يحتاج إليه في دينه فإن ذلك ميسر على كل أحد لتقوم حجة الله على العبد فإن له على عباد الحجة البالغة كما له عليهم النعمة السابغة والله أعلم " أ هـ .

السبب الرابع والثلاثون/ تقبل شبهات أهل البدع

إذا تمكن الشيطان من إلقاء الشبهات في قلب المجاهد وبخاصة في وقت الفتن، فيبدأ في مراجعة حساباته لا لتقويمها وسد الثغرات، وإنما لتبدل القناعات لديه من غير دليل صحيح صريح .

وقد أخبرنا الصادق المصدوق أنه سيأتي زمان يمسي فيه الرجل مؤمنا و يصبح كافراً و يصبح كافراً و يُمسي مؤمناً يبيع دينه بعرض من الدنيا زائل . فإياك و إياهم أن يفتنوك عن منهج نبيك .

وهذا هو الذي خشيه خبير الفتن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حينما قال له أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه: أوصني، قال: إن الضلالةَ حقَّ الضلالةِ أن تعرفَ ما كنت تنكر وتنكرَ ما كنت تعرف، وإياك والتلونَ في الدين فإن دينَ الله واحد.

قال ابن مسعود :" ليوطنن المرء نفسه على أنه إن كفر من في الأرض جميعاً لم يكفر ، و لا يكونن إمّعة ، قيل : و ما الإمّعة ؟؟؟ قال : الذي يقول أنا مع الناس، إنه لا أسوة في الشرّ ."

عن مُحَمَّد بن سيرين قال: قال عدي بن حاتم رضي الله عنه: إنكم لن تزالوا بخير ما لم تعرفوا ما كنتم تنكرون وتنكروا ما كنتم تعرفون، وما دام عالمكم يتكلم بينكم غيرَ خائف.

وقال مالك: الداء العضال التنقل في الدين.

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة : " وقال لي شيخ الإسلام رضى الله عنه وقد جعلت أورد عليه إيرادا بعد إيراد لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح الا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته وإلا فاذا اشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرا للشبهات أو كما قال فما أعلم أني أنتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك " .

قال ابن عباس رضي الله عنه : (لا تجالسوا أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم ممرضة للقلوب) .

وقال أبو قلابة وكان أدرك غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لا تجالسوا أصحاب الأهواء، أو قال : أصحاب الخصومات ؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون) .

ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على مُحَمَّد بن سيرين فقالا : يا أبا بكر نحدثك بحديث قال : لا ، قالا : فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل ، قال : « لا ، لتقومان عني أو لأقومن » ، قال : فقام الرجلان فخرجا ، فقال بعض القوم : يا أبا بكر ما كان عليك أن يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، فقال مُحَمَّد بن سيرين : (إني خشيت أن يقرأا آية عليَّ فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي) .

وقال رجل من أهل البدع لأيوب السختياني : يا أبا بكر أسألك عن كلمة فولى وهو يقول بيده (لا ولا نصف كلمة) .

وقال ابن طاوس لابن له وتكلم رجل من أهل البدع : (يا بني أدخل أصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع ما يقول) ، ثم قال : (اشدد اشدد) .

وقال عمر بن عبد العزيز : (من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل) .

وقال الشاطبي رحمه الله في الاعتصام :" إن فرقة النجاة وهم أهل السنة مأمورون بعداوة أهل البدع، والتشريد بهم، والتنكيل بمن انحاش إلى جهتهم بالقتل فما دونه. وقد حذَّر العلماء من مصاحبتهم ومجالستهم حسبما تقدم وذلك مظنة إلقاء العداوة والبغضاء" أ هـ.

قال مُحَّد بن النضر الحارثي: (من أصغى سمعه إلى صاحب وهو يعلم أنه صاحب بدعة؛ نزعت منه العصمة وَوُكِّلَ إلى نفسه) .

وقال عمرو بن قيس الملائي: (إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة فارجه، وإذا رأيته مع أهل البدع فيائس منه، فإن الشاب على أول نشوئه) .

قال يحيى بن أبي كثير: (إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره) .

السبب الخامس والثلاثون / انتقاص العلماء

جاء في الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه) رواه أحمد وحسنه الألباني.

وقد حذر العلماء من سب العلماء ومن الوقيعة بهم فقد ورد عن الإمام أحمد بن الأذرعي قوله : (الوقيعة في أهل العلم ولا سيما أكابرهم من كبائر الذنوب) .

وقال الحافظ ابن عساكر يرحمه الله مخاطباً رجلاً تجرأ على العلماء:(إنما نحترمك ما احترمت الأئمة).

نماذج من توقير السلف لعلمائهم

قال الشعبي: أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت، وقال: هكذا يصنع بالعلماء.

وقال الثوري عن مغيرة: كنا نهاب إبراهيم – النخعي – كما نهاب الأمير.

وكذلك كان أصحاب مالك مع مالك، ولذلك قال الشاعر:

يدع الجوابَ فما يراجَع هيبة   والسائلون نواكس الأذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى   فهو الأمير وليس ذا سلطان

وقال الربيع المرادي تلميذ الشافعي: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر هيبة له.

أخذ أحمد بركاب الشافعي ومشى راجلاً مودعاً له.

وقال أبو داود صاحب السنن: ما لعنتُ أحداً قط إلا أحداً سمعته ينتقص مالكاً.

وأمر أحمد رحمه الله بهجر من انتقص مالكاً رحمه الله.

النيل من العلماء وإيذاؤهم يُعدُّ إعراضاً أو تقصيراً في تعظيم شعير من شعائر الله ، وما أبلغ قول بعض العلماء : (أعراض العلماء على حفرة من حفر جهنم).

وإن مما يدل على خطورة إيذاء مصابيح الأمة، ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل في الحديث القدسي: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب). رواه البخاري .

قال ابن عساكر رحمه الله: (أعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلني وإيّاك ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ، بلاه الله قبل موته بموت القلب){ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ }.

وقال الإمام العالم العامل المجاهد عبدالله بن المبارك : (من استخف بالعلماء ذهبت آخرته) .

وقال الشيخ العلوان فك الله أسره : " فهتك عرض المسلم والجناية عليه عظيم عند الله ورسوله والمؤمنين ، وهو من كبائر الذنوب ومن التشبه بالمنافقين وأعظم منه

غمس الألسنة والأقلام في أهل العلم ومحاولة إسقاط قدرهم بأوهام من هنا وهناك والإيغال بالدخول في نياتهم ومقاصدهم والصد عن سبيلهم والاستخفاف بحقوقهم . " أ هـ

وقال الشيخ بكر أبو زيد في كتابه تصنيف الناس : " لهذا فقد أطبق أهل الملة الإسلامية ، على أن الطعن في واحد من الصحابة – رضي الله عنهم – : زندقة مكشوفة .

قال أبو زرعة الرازي رحمه الله تعالى :" إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة " . أ هـ

قال الدورقي رحمه الله تعالى : " من سمعته يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهمه على الإسلام " .

وقالها أحمد رحمه الله تعالى في حق يحيى بن معين ، وقيلت في حق أبي زرعة ، وعكرمة رحم الله الجميع .

" قال سفيان بن وكيع : أحمد عندنا محنة ، من عاب أحمد فهو عندنا فاسق " .

وقيل فيه :

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة

وبحب أحمد يعرف المتنسك

وإذا رأيت لأحمد متنقصا

فاعلم بأن ستوره ستهتك

فأهل السنة يمتحن بمحبتهم فيتميز أهل السنة بحبهم ؛ وأهل البدعة ببغضهم :

لا شك أن الإسلام قد رفع العلماء وأكرمهم، وأمر بتقديرهم واحترامهم، وجعل لهم مكانة ومهابة، وكل هذا الفضل وتلك المنزلة، لمن قام بوظيفته، ووظيفتهم تبيلغ شريعة السماء، والمطالبة بتحكيمها، وعدم كتمانها أو تبديلها أو تحريفها، ونفي ما علق بها من غيرها، ودوام تنقيحها من كل فكر غريب عنها، أو حكم دخيل عليها.

فلا يفهم مطلقا أن احترامهم الواجب يعني تقديسهم، وجعل الحبل لهم على الغارب، يقولوا ما يشاءون ويفعلوا ما يريدون.

بل هم فضلا عمن سواهم أسرى في يد الشريعة، فإذا تخطوا حدودها، وعبثوا بمعالمها، ومزقوا أستارها، أصبحوا عبيدا آبقين من سيدهم، فهم رجال يعرفون الحق، ولا يعرف بهم الحق.

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين قال له الحارث بن عبد الله الأعور: (أتظن أن طلحة والزبير كانا على الباطل؟ فقال له: يا حارث! إنه ملبوس عليك، إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله) .

وما قاله جمال الدين القاسمي:" ما أحسن قول أرسطو لما خالف أستاذه أفلاطون:" تخاصم الحق وأفلاطون، وكلاهما صديق لي، والحق أصدق منه" أ هـ.

قال ابن المبارك رحمه الله: (من استخف بالعلماء ذهبت آخرته ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته) .

السبب السادس والثلاثون / الفراغ

قال بعض السلف: (الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل، ثم لا تتوجه إليه، وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه). يعني: الله جل جلاله.

فقال: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ} قال العلامة السعدي رحمه الله :" أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء.

{وَإِلَى رَبِّكَ} وحده {فَارْغَبْ} أي: أعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول عباداتك.

ولا تكن ممن إذا فرغوا وتفرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين" أ هـ .

وقد نبه المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى غفلة الألوف من الناس عما وهبوا من نعمة العافية والوقت فقال :(نعمتان من نعم الله مغبون فيها كثير من الناس : الصحة والفراغ) رواه البخاري عن ابن عباس.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك رواه الحاكم وصححه الألباني.

وكان السلف الصالح يكرهون من الرجل أن يكون فارغاً لا هو في أمر دينه ولا هو في أمر دنياه .

يقول أبو العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة !

يروى عن عمر بن الخطاب أنه قال : (إني لأرى الرجل فيعجبني، فإذا سألت عنه فقيل لا حرفة له، سقط من عيني) .

وقال أيضاً : (إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللاً (أي فارغاً) لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة) .

وقال حكيم : من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد أثله ، أو حمد حصله ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه ، وظلم نفسه !

والفراغ داء قتال للفكر والعقل والطاقات الجسمية ، إذ النفس لابد لها من حركة وعمل ، فإذا كانت فارغة من ذلك تبلد الفكر وثخن العقل وضعفت حركة النفس واستولت الوساوس والأفكار الرديئة على القلب ، وربما حدث له إرادات سيئة شريرة ينفس بها عن هذا الكبت الذي أصابه من الفراغ .

قال الله تعالى :{لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} قال الاستاذ سيد قطب معلقاً على هذه الآية : "إنها صورة للنفوس الفارغة التي لا تعرف الجد ، فتلهو في أخطر المواقف ، وتهزل في مواطن الجد وتستهتر في مواقف القداسة. فالذكر الذي يأتيهم يأتيهم «مِنْ رَبِّهِمْ» فيستقبلونه لاعبين ، بلا وقار ولا تقديس.

والنفس التي تفرغ من الجد والاحتفال والقداسة تنتهي إلى حالة من التفاهة والجدب والانحلال فلا تصلح للنهوض بعبء ، ولا الاضطلاع بواجب ، ولا القيام بتكليف. وتغدو الحياة فيها عاطلة هينة رخيصة! إن روح الاستهتار التي تلهو بالمقدسات روح مريضة. والاستهتار غير الاحتمال. فالاحتمال قوة جادة شاعرة. والاستهتار فقدان للشعور واسترخاء " أ هـ

قال ابن القيم رحمه الله : " ... اعلم أن أنفاسك معدودة منصرمة كل نفس منها يقابله آلاف من السنين في دار البقاء ، فما أولاك ألا تصرف منها نفسا إلا في

أحب الأمور إلى الله ، واستعن بربك فهو المستعان ولا حول ولا قوة إلا به ... " أ هـ .

قال ابن الجوزي رحمه الله: " ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه فلا يضيع منه لحظة من غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل" أ هـ .

وروي عن الخطيب البغدادي رحمه الله أنه كان يمشي وفي يده كراس من العلم يطالعه كسبًا لوقته ، وقد قال الشاعر :

إنا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى نقْصٌ من الأجل

قال الماوردي في أدب الدنيا والدين : " فَيَنْبَغِي أَحْسَنَ اللَّهُ إلَيْك بِالتَّوْفِيقِ أَنْ لَا تُضَيِّعَ صِحَّةَ جِسْمِك وَفَرَاغَ وَقْتِك بِالتَّقْصِيرِ فِي طَاعَةِ رَبِّك ، وَالثِّقَةِ بِسَالِفِ عَمَلِك.

فَاجْعَلْ الِاجْتِهَادَ غَنِيمَةَ صِحَّتِك ، وَالْعَمَلَ فُرْصَةَ فَرَاغِك ، فَلَيْسَ كُلُّ الزَّمَانِ مُسْتَسْعَدًا وَلَا مَا فَاتَ مُسْتَدْرَكًا ، وَلِلْفَرَاغِ زَيْغٌ أَوْ نَدَمٌ ، وَلِلْخَلْوَةِ مَيْلٌ أَوْ أَسَفٌ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : الرَّاحَةُ لِلرِّجَالِ غَفْلَةٌ وَلِلنِّسَاءِ غُلْمَةٌ .

وَقَالَ بَزَرْجَمْهَرُ : إنْ يَكُنْ الشُّغْلُ مَجْهَدَةً ، فَالْفَرَاغُ مَفْسَدَةٌ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إيَّاكُمْ وَالْخَلَوَاتِ فَإِنَّهَا تُفْسِدُ الْعُقُولَ ، وَتُعَقِّدُ الْمَحْلُولَ .

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : لَا تُمْضِ يَوْمَك فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ ، وَلَا تُضِعْ مَالَك فِي غَيْرِ صَنْعَةٍ .

فَالْعُمُرُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ يَنْفَدَ فِي غَيْرِ الْمَنَافِعِ ، وَالْمَالُ أَقَلُّ مِنْ أَنْ يُصْرَفَ فِي غَيْرِ الصَّنَائِعِ .

وَالْعَاقِلُ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَفْنِي أَيَّامَهُ فِيمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ وَخَيْرُهُ ، وَيُنْفِقَ أَمْوَالَهُ فِيمَا لَا يَحْصُلُ لَهُ ثَوَابُهُ وَأَجْرُهُ .

وَأَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ – عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ – : الْبِرُّ ثَلَاثَةٌ : الْمَنْطِقُ وَالنَّظَرُ وَالصَّمْتُ .

فَمَنْ كَانَ مَنْطِقُهُ فِي غَيْرِ ذِكْرٍ فَقَدْ لَغَا ، وَمَنْ كَانَ نَظَرُهُ فِي غَيْرِ اعْتِبَارٍ فَقَدْ سَهَا ، وَمَنْ كَانَ صَمْتُهُ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا " أ هـ .

السبب السابع والثلاثون / إطلاق البصر فيما حرم الله

أمر قبل ذلك بغض البصر فقال سبحانه :{ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ } .

وفي الصحيحين قال صلى الله عليه وسلم : (العين تزني وزناها النظر)..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في الفتاوى :" وأما النظر والمباشرة فاللمم منها مغفور باجتناب الكبائر، فإن أصر على النظر أو على المباشرة صار كبيرة، وقد يكون الإصرار على ذلك أعظم من قليل الفواحش؛ فإن دوام النظر بالشهوة وما يتصل به من العشق والمعاشرة والمباشرة أعظم بكثير من فساد زنا لا إصرار عليه؛ ولهذا قال الفقهاء في الشاهد العدل: أن لا يأتي كبيرة، ولا يصر على صغيرة. بل قد ينتهي النظر والمباشرة بالرجل إلى الشرك، كما قال تعالى:{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}، ولهذا لا يكون عشق الصور إلا من ضعف محبة الله وضعف الإيمان. والله تعالى إنما ذكره في القرآن عن امرأة العزيز المشركة، وعن قوم لوط المشركين " أ هـ .

وقال ابن القيم رحمه الله في روضة المحبين : "وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب فإذا غضّ العبد بصره، غضّ القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته... إلى أن قال-: والنظرة إذا أثّرت في القلب، فإن عجل الحازم، وحسم المادة من أولها؛ سهُل علاجه، وإن كرر النظر، ونقّب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه؛ تمكنت المحبة، وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقي

الشجرة، فلا تزال شجرة الحب تنمو حتى يفسد القلب، ويعرض عن الفكر فيما أمر به، فيخرج بصاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن" أ هـ

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن عقوبات الشهوة المحرمة : " فأما من استعبد قلبه صورة محرمة: امرأة أو صبي، فهذا هو العذاب الذي لا يَدان فيه، وهؤلاء من أعظم الناس عذاباً وأقلهم ثواباً؛ فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقاً بها، مستعبَداً لها، اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد. ومن أعظم هذا البلاء إعراض القلب عن الله؛ فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له، لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب " أ هـ

وقال الإمام ابن كثير في "البداية والنهاية" أحداث سنة تسع وسبعين ومائتين :

"وفيها توفي عبده بن عبد الرحيم قبَّحَه الله ، ذكرَ ابنُ الجوزي أنَّ هذا الشقي كان من المجاهدين كثيرًا في بلاد الروم ، فلمَّا كان في بعض الغزوات ، والمسلمون مُحاصِروا بلدة من بلاد الروم ؛ إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم في ذلك الحصن ، فهَوِيَها ، فرَاسَلَها : ما السبيل إلى الوصول إليكِ ؟ فقالت : أن تتنصَّر ، وتصعد إليَّ، فأجابها إلى ذلك ، فما راع المسلمين إلا وهو عندها ، فاغتمَّ المسلمون بسبب ذلك غمًّا شديدًا ، وشقَّ عليهم مشقة عظيمة ، فلما كان بعد مُدَّةٍ مرُّوا عليه وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن ، فقالوا : يا فلان ! ما فعل قرآنك ؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صيامك ؟ ما فعل جهادك ؟ ما فعلت صلاتك ؟ فقال : اعلموا أنِّي أُنسِيتُ القرآن كلَّه إلا قوله : {ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين * ذرهم

يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون} ، وقد صار لي فيهم مالٌ وولد" .
اهـ .

قال القرطبي رحمه الله في التذكرة وروى : أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجداً للأذان والصلاة ، و عليه بهاء العبادة و أنوار الطاعة ، فرقي يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي ، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار ، فافتتن بها و ترك الأذان ، و نزل إليها و دخل الدار فقالت له : ما شأنك ما تريد ؟ فقال : أنت أريد . قالت : لماذا ؟ قال لها : قد سلبت لبي و أخذت بمجامع قلبي . قالت : لا أجيبك إلى ريبة . قال لها : أتزوجك . قالت له : أنت مسلم و أنا نصرانية و أبي لا يزوجني منك قال لها : أتنصر . قالت : إن فعلت أفعل . فتنصر ليتزوجها ، وأقام معها في الدار . فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقي إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات ، فلا هو بدينه و لا هو بها . فنعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سوء العاقبة وسوء الخاتمة " أ هـ .

قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله في ذم الهوى : " بلغني عن رجل كان ببغداد يُقال له: صالح المؤذن، أذّن أربعين سنة، وكان يُعرف بالصلاح، أنه صعد يوماً إلى المنارة ليؤذن، فرأى بنت رجل نصراني كان بيته إلى جانب المسجد، فافتتن بها، فجاء فطرق الباب، فقالت: من؟ فقال: أنا صالح المؤذن، ففتحت له، فلما دخل ضمها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات فما هذه الخيانة؟ فقال: إن وافقتني على ما أريد وإلا قتلتك. فقالت: لا؛ إلا أن تترك دينك، فقال: أنا بريء من الإسلام ومما جاء به محمد، ثم دنا إليها، فقالت: إنما قلت هذا لتقضي غرضك ثم

تعود إلى دينك، فكُلْ من لحم الخنزير، فأكل، قالت: فاشرب الخمر، فشرب، فلما دبّ الشراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتاً وأغلقت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوّجني منك، فصعد فسقط فمات، فخرجت فلفّته في ثوب، فجاء أبوها، فقصّت عليه القصة، فأخرجه في الليل فرماه في السكة، فظهر حديثه، فرُمي في مزبلة " أ هـ

السبب الثامن والثلاثون / الكبر والغطرسة

قال الله تعالى:{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ }.

وقال السعدي رحمه الله : "سأصرفهم عن الاعتبار في الآيات الأفقية والنفسية والفهم لآيات الكتاب { فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ } أي : يتكبرون على عباد الله ، وعلى الحق ، وعلى من جاء به ، فمن كان هذه الصفة حرمه الله خيرا كثيرا وخذله ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به ، بل ربما انقلبت عليه الحقائق واستحسن القبيح " أ هـ .

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: (يَجِيءُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَرًّا مِثْلَ صُوَرِ الرِّجَالِ ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ ، قَالَ : ثُمَّ يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُولَسَ ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ) رواه الترمذي وحسنه الألباني .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ». قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)رواه مسلم .

قال سفيان بن عيينة رحمه الله : (من كانت معصيته في شهوة فارج له التوبة، فإن آدم عليه السلام عصى مشتهيًا فغفر له، فإذا كانت معصيته من كبر فاخش عليه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبرًا فلُعِن) .

قال الغزاليّ رحمه الله في الإحياء : "مفتاح السّعادة التّيقّظ والفطنة، ومنبع الشّقاوة الكبر والغفلة، فلا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة، ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصّدر بنور البصيرة، ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة، فالأكياس هم الّذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام والهدى، والمتكبّرون هم الّذين أراد الله أن يضلّهم فجعل

صدرهم ضيّقا حرجا كأنّما يصعّد في السّماء. فالمتكبّر هو الّذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا، وبقي في العمى فاتّخذ الهوى قائدا والشّيطان دليلا.

فالكبر آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواصّ من الخلق، وقلّما ينفكّ عنه العبّاد والزّهّاد والعلماء فضلا عن عوامّ الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلّى الله عليه وسلّم: «لا يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرّة من كبر» وإنّما صار حجابا دون الجنّة لأنّه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلّها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنّة، والكبر يغلق تلك الأبواب كلّها، لأنّه لا يقدر على أن يحبّ للمؤمنين ما يحبّ لنفسه وفيه شيء من الكبر. فما من خلق ذميم إلّا وصاحب الكبر مضطرّ إليه ليحفظ كبره، وما من خلق محمود إلّا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزّه. فمن هذا لم يدخل الجنّة من في قلبه مثقال حبّة منه. والأخلاق الذّميمة متلازمة، والبعض منها داع إلى البعض لا محالة. وشرّ أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحقّ والانقياد له " أ هـ .

روي أن جبلة بن الأيهم بن أبي شمر الغساني لما اراد ان يسلم ، كتب الى عمر بن الخطاب يعلمه بذلك ويستأذنه في القدوم عليه ، فسرّ عمر لذلك والمسلمون ، فكتب إليه : ان اقدم ولك مالنا وعليك ما علينا ، فخرج جبلة في خمسمائة فارس ، فلما دنا من المدينة لبس جبلة تاجه وألبس جنوده ثياباً منسوجة من الذهب والفضة ، ودخل المدينة فلم يبق احد إلا خرج ينظر إليه حتى النساء والصبيان ، فلما انتهى الى عمر رحَّب به وأدنى مجلسه ! ثم أراد الحج ، فخرج معه جبلة ، فبينا هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجل من بني فزارة فحلّه ، فالتفت إليه جبلة

مغضباً ، فلطمه فهشم أنفه ، فاستعدى عليه الفزاري عمر بن الخطاب ، فبعث إليه فقال : ما دعاك يا جبلة إلى أن لطمت أخاك هذا الفزاري فهشمت أنفه! فقال : إنه وطئ إزاري فحلّه ؟ ولولا حرمة البيت لضربت عنقه ، فقال له عمر : أما الآن فقد أقررت ، فإما أن ترضيه ، وإلا أقدته منك .

قال : أتقيده مني وأنا ملك ،وهو سوقة ! .

قال عمر : يا جبلة ، إنه قد جمعك وإياه الإسلام ، فما تفضله بشيء إلا بالتقوى والعافية .

قال جبلة : والله لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعزَّ مِني في الجاهلية ،

قال عمر : دع عنك هذا ، فإنك إن لم ترض الرجل أقدته منك .

قال جبلة : إذن أتنصر ، قال : إن تنصرت ضربت عنقك .

فقال جبلة : أخّرني إلى غدٍ يا أمير المؤمنين .

قال عمر : لك ذلك ، ولما كان الليل خرج جبلة وأصحابه من مكة ، وسار إلى القسطنطينية فتنصّر ، ثم إن جبلة طال به العهد في الكفر فتفكر في حاله فجعل يبكي وأنشأ يقول :

تنصرت الأشراف من عار لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفني منها لجاج ونخـــوة ... وبعت لها العين الصحيحة بالعور

فيا ليت أمي لم تلــدني وليتني رجعت إلى القول الذي قال لي عمر

و يا ليتني أرعى المخاض بقفرة وكنت أسير في ربيعة أو مضر

و يا ليت لي بالشام أدنى معيشة أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

فالمتكبر وضيع وإن رأى نفسه مرتفعاً على الخلق، والمتواضع وإن رؤي وضيعاً فهو رفيع القدر.

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفســه إلى طبقات الجو وهو وضيع

السبب التاسع والثلاثون/ الخضوع لضغط الأسرة أو غيرهم

بعض الشباب ينفر في سبيل الله فيضغط عليه أهله أو قبيلته ليرجع عن طريق الجهاد فيرجع وينحرف ويعتذر أنه ضُغط عليه، أو أُمه بَكت، فيقول أخشى عقوق الوالدين، مع أنه في جهاد الدفع لا يشترط استئذانهما .

قال تعالى:{ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

قال تعالى: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً} .

قال المفسرون: نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وذاك أنه لما أسلم قالت له أمه حَمنة: "يا سعد بلغني أنك صبوت، فو الله لا يظلني سقف بيت من الضح(أي الشمس) والريح، ولا آكل ولا أشرب، حتى تكفر بمحمد، وترجع إلى ما كنت عليه". وكان أحب ولدها إليها، فأبى سعد رضي الله عنه، وصبرت هي ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب، ولم تستظل بظل، حتى خشي عليها، فأتى سعد النبي صلى الله عليه وسلم وشكا ذلك إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي في لقمان والأحقاف، وساق الواحدي رحمه الله القصة بسنده من طريق أبي يعلى قال حدثنا أبو خيثمة. وهو زهير بن حرب شيخ الإمام مسلم الذي أخرج القصة أيضا عنه بسنده عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في... القصة . وجاء في رواية أن سعدا رضي الله عنه قال لأمه: "لا تفعلي يا أمه، فإني لا أدع ديني هذا لشيء، قال فمكثت يوماً وليلة لا تأكل، فأصبحت وقد اشتد جهدها، قال فلما رأيت ذلك قلت: تعلمي والله يا أمه، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني هذا لشيء، إن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت".

قال الله تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ }.

و قد ذُكر أن سبب نزول هذه الآية :

أن صهيباً خرج مهاجرا من مكة إلى المدينة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلحقه المشركون وهو وحده .

فَنَثَلَ كنانته ، و قال : و الله لا يأتي رجل منكم إلا رميته . فأراد قتالهم وحده .

وقال : إن أحببتم أن تأخذوا مالي بمكة فخذوه ، و أنا أدلكم عليه .

ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "ربح البيع أبا يحيى" .

قال الإمام الصنعاني في سبل السلام: وفي الحديث دليل على أنه يسقط فرض الجهاد مع وجود الأبوين أو أحدهما لما أخرجه أحمد والنسائي من طريق معاوية بن جاهمة أن أبا جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ، أردت الغزو . فقال هل لك من أم قال نعم قال الزمها وظاهره سواء كان الجهاد فرض عين أو فرض كفاية وسواء تضرر الأبوان بخروجه أو لا، وذهب الجماهير من العلماء إلى أنه يحرم الجهاد على الولد إذا منعه الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين لأن برهما فرض عين والجهاد فرض كفاية، فإذا تعين الجهاد فلا فإن قيل بر الوالدين فرض عين أيضاً والجهاد ثم تعينه فرض عين فهما مستويان ما وجه تقديم

الجهاد، قلت : لأن مصلحته أعم إذ هي لحفظ الدين والدفاع عن المسلمين فمصلحته عامة مقدمة على غيرها وهو يقدم على مصلحة حفظ البدن " أ هـ.

وقال ابن قدامة في المغني: وإذا خُوطب بالجهاد فلا إذن لهما وكذلك كل الفرائض لا طاعة لهما في تركها، يعني إذا وجب عليه الجهاد لم يعتبر إذن والديه لأنه صار فرض عين وتركه معصية، ولا طاعة لأحد في معصية الله، وكذلك كل ما وجب مثل الحج والصلاة في الجماعة والجمع والسفر للعلم الواجب قال الأوزاعي لا طاعة للوالدين في ترك الفرائض والجمع والحج والقتال لأنها عبادة تعينت عليه فلم يعتبر إذن الأبوين فيها كالصلاة ولأن الله تعالى قال ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا آل عمران ولم يشترط إذن الوالدين" أ هـ .

وقال ابن حزم رحمه الله في المحلى: ولا يجوز الجهاد إلا بإذن الأبوين إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين، ففرض على كل من يمكنه إعانتهم، أن يقصدهم مغيثا لهم أذن الأبوان أم لم يأذنا، إلا أن يضيعا أو أحدهما بعده فلا يحل له ترك من يضيع منهما" أ هـ .

قال مُحَّد بن الحسين الآجري رحمه الله في كتابه الغرباء :" من أحب أن يبلغ مراتب الغرباء فليصبر على جفاء أبويه وزوجته وإخوانه وقرابته فإن قال قائل فلم يجفوني وأنا لهم حبيب وغمهم لفقدي إياهم اياي شديد قيل لأنك خالفتهم على ما هم عليه من حبهم الدنيا وشدة حرصهم عليها ولتمكن الشهوات من قلوبهم ما يبالون ما نقص من دينك ودينهم إذا سلمت لهم بك دنياهم فإن تابعتهم على ذلك كنت

الحبيب القريب وإن خالفتهم وسلكت طريق أهل الآخرة باستعمالك الحق جفا عليهم أمرك فالأبوان متبرمان بفعالك والزوجة بك متضجرة فهي تحب فراقك والاخوان والقرابة فقد زهدوا في لقائك فأنت بينهم مكروب محزون فحينئذ نظرت إلى نفسك بعين الغربة فأنست ما شاكلك من الغرباء واستوحشت من الاخوان والأقرباء فسلكت الطريق إلى الله الكريم وحدك فإن صبرت على خشونة الطريق أياما يسيرة واحتملت الذل والمداراة مدة قصيرة وزهدت في هذه الدار الحقيرة أعقبك الصبر أن ورد بك إلى دار العافية أرضها طيبة ورياضها خضرة وأشجارها مثمرة وأنهارها عذبة فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأهلها فيها مخدلون يسقون من رحيق مختوم ختامه " أ هـ .

السبب الأربعون / أكل الحرام.

أخي المجاهد لأنك إذا أكلت الحرام غذيت جسدك بالحرام، ونبت لحمك من حرام، فالنار أولى بالحرام، وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به، لا ينفع عمل ولا ينفع دعاء؛ فالذي مطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، أنى يستجاب

له؟ وهذا معنى الحديث في صحيح مسلم ، احذر من الحرام، جاء في الصحيحين قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه) حمى الله: محارمه لا تقترب منها، الراعي إذا قرب من المكان المحمي أفسدت بعض الغنم ذلك المكان، لكن إذا كان بعيداً فلا يحصل شيئاً، وكذلك أنت لا ترع دينك عند محارم الله، فتقع وأنت لا تدري.

قال بعضهم : (من لا يعرف ما يدخل بطنه لا يفرق بين الخواطر الربانية والشيطانية) .

قيل : من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

قال بعضهم : من غض بصره عن المحارم ، وكف نفسه عن الشهوات ، وعمر باطنه بالمراقبة وتعود أكل الحلال لم تخطئ فراسته .

قوله تعالى {وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ } هو استعجال أكل الحرام قبل إتيان الحلال ، قاله مجاهد .

قال ابن الجوزي في صيد الخاطر : " أعظم المعاقبة أن لا يحس المعاقب بالعقوبة، وأشد من ذلك أن يقع السرور بما هو عقوبة، كالفرح بالمال الحرام، والتمكن من الذنوب، ومن هذه حاله لا يفوز بطاعة " أ هـ .

وقال ابن الجوزي في بحر الدموع : " فصن لقمتك، وأطب طعمتك حتى يتبين لك مبيض صالح العمل من مسود خيط الأمل من فجر الأجل، ثم أتم صيام الجوارح عن حرام طعام الآثام إلى ليل القيام فتفطر على فوائد موائد{ كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية}.

ومن لم يجتنب الحرام من الطعام، أفطر بعد طول الصيام على مرارة حرارة ثمرة الزقوم، فيا له من طعام، ما أعظم ضرره، بفتت الفؤاد، ويقطع الأكباد، ويمزق الأجسدا، ويورث الأنكاد في الميعاد.

وقال سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه: كنت أقرأ الآية فيفتح لي فيها سبعون بابا من العلم، فلما أكلت مال هؤلاء الأمراء، صرت أقرأ الآية فلم يفتح لي فيها باب واحد.

فالحرام من القوت نار تذيب شحمة الفكر، وتذهب لذة حلاوة الذكر، وتحرّق ثياب اخلاص النيّات، ومن الحرام يتولد عمى البصيرة وظلام السريرة.

فاكتسب مالا حلالا، وأنفقه في قصد، واجتنب الحرام وأهله، ولا تجالسهم، ولا تأكل طعامهم، ولا تصحب من كسبه من الحرام، ان كنت صادقا في ورعك، ولا

تدلّن أحدا على الحرام فيأكله هو وتحاسب أنت عليه، ولا تعنه أيضا على طلبه، فان المعين شريك.

واعلم أنه انما تقبل الأعمال من آكل الحلال " أ هـ .

من أكل المال الحرام الأكل من المال العام ، فالشريعة الإسلامية ألزمت الإمام بحفظه وصونه وصرفه في الوجوه الشرعية، ووردت الأدلة بالوعيد الشديد على من يفرط في ذلك، قال صلى الله عليه وسلم: "إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة" روله البخاري، قال ابن حجر: (... وفي هذا الحديث ردع الولاة أن يأخذوا من المال شيئاً بغير حقه، أو يمنعوه من أهله ...)، وقد روي عن الفاروق عمر رضي الله عنه تشبيهه دور الإمام مع المال بدور ولي مال اليتيم (ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم، إن استغنيت عففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف) ، والآيات والأحاديث في تحريم الغلول والوعيد الشديد منه كثيرة معلومة، ومن أكثر هذه الأحاديث تحديداً لدرجة الغلول ما رواه أبو داود عن المستورد بن شداد قوله صلى الله عليه وسلم: "من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً، فإن لم يكن له مسكناً فليكتسب مسكناً"، قال: قال أبو بكر: أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق" رواه أبو داود وصححه الألباني.

الناس في هذا الباب تبع لأئمتهم، فإذا صلحوا وتورعوا عن أكل المال العام بغير حق، فإن الكثير من الناس سوف يقتدون بهم ويتعلمون من ورعهم، ويكفون عن

أخذ المال بغير حق، كما قال عمر رضي الله عنه: "الرعية مؤدية إلى الامام ما أدى الإمام إلى الله، فإذا رتع رتعوا" أخرجه ابن أبي شيبة وغيره.

وانظر إلى أبي بكر الصديق الذي أتعب من بعده ما رواه الطبراني في الكبير عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: "لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال: يا عائشة انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها، والجفنة التي كنا نصطبح فيها، والقطيفة التي كنا نلبسها، فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا في أمر المسلمين، فإذا مت فارديه إلى عمر. فلما مات أبو بكر رضي الله عنه أرسلت به إلى عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه: رضي الله عنك يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك".

وعن نافِعٍ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ فَرَضَ للْمُهاجِرِينَ الأَوَّلِينَ أَربَعَةَ آلافٍ، وفَرَضَ لابْنِهِ ثلاثةَ آلافٍ وخَمْسَمائةٍ، فَقِيلَ لَهُ: هُوَ مِنَ المهاجِرِينَ فَلِم نَقَصْتَهُ فقال: إِنَّما هَاجَر بِهِ أَبُوه يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ " رواهُ البخاري.

فعليك يا أخي المجاهد! يا من تريد أن تستقيم وتلتزم وتستمر وتثبت أن يكون كسبك حلالاً، وأن تراجع نفسك باستمرار في قضية تصفية الكسب، أي شيء يأتيك فيه حرام أوقفه، ولا يقول لك الشيطان: إن هذا يقلل من دخلك ويهز ميزانيتك لا وألف لا، من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وإياك والحيل الشيطانية التي دخلت على بعض الشباب، يأكل الحرام باسم الغنيمة، وهي سحت وليست بغنيمة .

السبب الحادي والأربعون / المجادلة والمراء

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا) والزعيم هو الضامن .

وحده الغزالي رحمه الله تعالى بقوله في الإحياء : "كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد المتكلم " أ هـ .

وقال الصنعاني رحمه الله تعالى : " وحقيقة المراء طعنك في كلام غيرك لإظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه والجدال هو ما يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مالا أو غيره ويكون تارة ابتداء وتارة اعتراضا والمراء لا يكون إلا اعتراضا والكل قبيح إذا لم يكن لإظهار الحق وبيانه وإدحاض الباطل وهدم أركانه "ا. هـ

وقال الشاطبي رحمه الله تعالى : " جعل العلماء من عقائد الإسلام ترك المراء والجدال في الدين وهو الكلام فيما لم يؤذن في الكلام فيه كالكلام في المتشابهات من الصفات والأفعال وغيرهما وكمتشابهات القرآن " أ هـ

وقال عمر بن عبد العزيز: (من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل) .

وقال أيضاً رحمه الله: (من عمل بغير علم كان ما يُفسد أكثر مما يُصلح، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه، ومن كثرت خصومته لم يزل يتنقل من دين إلى دين) .

عن يحيى بن أبي كثير أن سليمان بن داود عليه السلام قال لابنه :(يا بني إياك والمراء فإن نفعه قليل وهو يهيج العداوة بين الإخوان) .

قال بعضهم كما في فيض القدير : ما رأيت شيئاً أذهب للدين ، ولا أنقص للمروءة ، ولا أضيع للذة ، ولا أشغل للقلب ، من المخاصمة ، فإن قيل : لا بد من الخصومة لاستيفاء الحقوق ! فالجواب ما قال الغزالي : أنّ الذم المتأكد إنما هو خاص بباطل ، أو بغير علم .

وقد قال بعض السلف : (إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبدٍ شراً أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل).

وكان الإمام مالك يقول :(المراء في العلم يقسي القلب ويورث الضغائن).

وقال الحسن رحمه الله تعالى عندما سمع قوماً يتجادلون :(هؤلاء قوم ملوا العبادة ، وخف عليهم القول ، وقل ورعهم فتكلموا) .

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله :(احذر الجدل البيزنطي :أي الجدل العقيم، أو الضئيل، فقد كان البيزنطيون يتحاورون في جنس الملائكة والعدو على أبواب بلدتهم حتى داهمهم.

وهكذا الجدل الضئيل يصد عن السبيل.

وهدي السلف: الكف عن كثرة الخصام والجدال، وأن التوسع فيه من قلة الورع؛ كما قال الحسن إذ سمع قوماً يتجادلون:

"هؤلاء ملوا العبادة، وخف عليهم القول، وقل ورعهم، فتكلموا"). أ.هـ

فإن قلت : لا بد للانسان من الخصومة لاستبقاء حقوقه.

فالجواب ما أجاب به الإمام الغزالي في الإحياء : أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل أو بغير علم ، كوكيل القاضي ، فإنه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب هو فيخاصم بغير علم.

ويدخل في الذم أيضا من يطلب حقه ، لكنه لا يقتصر على قدر الحاجة ، بل يظهر اللدد والكذب للإيذاء والتسليط على خصمه ، وكذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي ، وليس له إليها حاجة في تحصيل حقه ، وكذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره ، فهذا هو المذموم ، وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا إيذاء ، ففعله هذا ليس حراما ، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا ، لان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر ، والخصومة توغر الصدور ، وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما ، حتى يفرح كل واحد بمساءة الآخر ، ويحزن بمسرته ، ويطلق اللسان في عرضه ، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات ، وأقل ما فيه اشتغال القلب حتى إنه يكون في صلاته وخاطره معلق بالمحاجة والخصومة فلا يبقى حاله على الاستقامة.

والخصومة مبدأ الشر ، وكذا الجدال والمراء ، فينبغي أن لا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها ، وعند ذلك يحفظ لسانه وقلبه عن آفات الخصومة " أ هـ .

قال النووي في الأذكار :" واعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل ، قال الله تعالى : {وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }وقال تعالى : {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} وقال تعالى : {ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا}[فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودا ، وإن كان في مدافعة الحق ، أو كان جدالا بغير علم كان مذموما ، وعلى هذا التفصيل تنزيل النصوص الواردة في إباحته وذمه ، والمجادلة والجدال بمعنى ، وقد أوضحت ذلك مبسوطا في " تهذيب الأسماء واللغات " أ هـ .

هناك جدال بالحق

يقول أبو مُحَمَّد ابن حزم رحمه الله : وقال تعالى: { وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ } . ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة وقد تهزم العساكر الكبار والحجة الصحيحة لا تغلب أبدا فهي أدعى إلى الحق وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة وأفاضل الصحابة الذين لا نظير لهم إنما أسلموا بقيام البراهين على صحة نبوة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم عندهم فكانوا أفضل ممن أسلم بالغلبة بلا خلاف من أحد المسلمين. وأول ما أمر الله عز وجل نبيه مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم أن يدعو له الناس بالحجة البالغة بلا قتال فلما قامت الحجة وعاندوا الحق أطلق الله تعالى عليهم السيف حينئذ؛ وقال تعالى: { قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ } . وقال تعالى: { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ } . ولا شك في أن هذا إنما هو بالحجة لأن السيف مرة لنا ومرة علينا وليس كذلك البرهان بل هو لنا أبدا

ودامغ لقول مخالفينا ومزهق له أبدا. ورب قوة باليد قد دمغت بالباطل حقا كثيرا فأزهقته منها يوم الحرة ويوم قتل عثمان رضي الله عنه ويوم قتل الحسين وابن الزبير رضي الله عنهم ... وقد قتل أنبياء كثير وما غلبت حجتهم قط . أ.هـ

وما أجمل قول الشافعي رحمه الله :

قالوا سكتَّ وقد خوصمتَ قلتُ لهم إن الجوابَ لِبَابِ الشَّرِّ مفتاحُ

والصمت عن جاهلٍ أو أحمقٍ شرفٌ وفيه أيضاً لصون العرض إصلاحُ

أما ترى الأُسْدَ تُخشى وهي صامتةٌ والكلب يُخسى لعمري وهو نباحُ

السبب الثاني والأربعون / اليأس من الإصلاح

حينما تشتد الأزمة، ويتعاظم البلاء، وتكثر الحروب والهجمات على الإسلام والمسلمين، لا ينبغي للمؤمن أن يتسرب إليه إحساس بالفشل أو اليأس من التغيير والإصلاح، وهذا ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان يبث عناصر الثقة في قلوب رجاله وأصحابه، يدخل عليه خباب بن الأرت وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فيقول له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ فيقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُحْمَرّ وجهه، ويقول: "كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنين، وما يصده ذلك عن دينه، ويُمْشّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون" (متفق عليه).

واستمع إليه يوم الخندق وقد أحاطت بالمسلمين الأهوال من كل مكان: {إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً}.

وهو يبشّر المؤمنين: أن الله يدفع إليّ مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله، ولتَفتح صنعاء أبوابها . ولقد تحققت هذه كلها .

وما إن سمعت هذه النفوس هذه البشريات حتى سكنت وارتاحت واطمأنت: فقال سبحانه { وَلَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَما زادَهُمْ إِلاَّ إِيماناً وَتَسْلِيماً}.

أما المنافقون أصحاب القلوب المريضة، فقد تندّروا بأحاديث الفتح وفيهم قال الله تعالى: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً}.

ويحق لنا أن نتساءل: ماذا كان يملك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقدم هذه البشريات وينثر هذه التطمينات هنا وهناك؟ وهو المطارد من بلده، والمحاصر في البلد الذي أوى إليه!؟

إنه كان يملك الثقة في وعد ربه (عز وجل)، وأن الله تعالى من خلفه ناصره ومعينه، فكان لابد أن ينتقل هذه الشعور إلى نفوسنا كذلك .

وله صلى الله عليه وسلم عشرات الأحاديث التي يبشر المؤمنين فيها بأنهم ورثة هذا الكتاب وهذه الأرض، وأنهم سيفتحون المشارق والمغارب، ويملكون الأرض كلها: فعن تميم الداري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليبلغنَّ هذا الأمر (يعني أمر الإسلام) ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر".

ومن هذه المبشرات ما رواه مسلم وغيره عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض".

والمجاهد الحصيف هو الذي يلتزم منهج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأننا مطالبون أن نبشِّر ولا ننفِّر، كما نحن مأمورون أن نيسِّر ولا نعسر.

علينا أن نحذر من التشاؤم واليأس من الإصلاح في ظل الظروف التي نعيشها الآن لنعطي أنفسنا فرصة في أن نفرح بفضل الله تعالى وبرحمته وبمستقبل منشود وبألوان من الخير وإن أصابنا غم وكآبة من جراء ما نرى ونشهد من التفوق العدواني والتسلط على البلاد الإسلامية.

قال تعالى { حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}.

قال سيد قطب رحمه الله في ظِلال القرآن: " إنها ساعات حرجة ، والباطل ينتفش ويطغى ويبطش ويغدر. والرسل ينتظرون الوعد فلا يتحقق لهم في هذه الأرض. فتهجس في خواطرهم الهواجس .. تراهم كذبوا؟ ترى نفوسهم كذبتهم في رجاء النصر في هذه الحياة الدنيا؟

وما يقف الرسول هذا الموقف إلا وقد بلغ الكرب والحرج والضيق فوق ما يطيقه بشر. وما قرأت هذه الآية والآية الأخرى : {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ : مَتى نَصْرُ اللَّهِ؟ } ما قرأت هذه الآية أو تلك إلا وشعرت بقشعريرة من تصور الهول الذي يبلغ بالرسول هذا المبلغ ، ومن تصور الهول الكامن في هذه الهواجس ، والكرب المزلزل الذي يرج نفس الرسول هذه الرجة ، وحالته النفسية في مثل هذه اللحظات ، وما يحس به من ألم لا يطاق.

في هذه اللحظة التي يستحكم فيها الكرب ، ويأخذ فيها الضيق بمخانق الرسل ، ولا تبقى ذرة من الطاقة المدخرة .. في هذه اللحظة يجيء النصر كاملا حاسما فاصلا :

{جاءَهُمْ نَصْرُنا ، فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ ، وَلا يُرَدُّ بَأْسُنا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} ..

تلك سنة الله في الدعوات. لا بد من الشدائد ، ولا بد من الكروب ، حتى لا تبقى بقية من جهد ولا بقية من طاقة. ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلق بها الناس. يجيء النصر من عند الله ، فينجو الذين يستحقون النجاة ، ينجون من الهلاك الذي يأخذ المكذبين ، وينجون من البطش والعسف الذي يسلطه عليهم المتجبرون. ويحل بأس الله بالمجرمين ، مدمرا ماحقا لا يقفون له ، ولا يصده عنهم ولي ولا نصير.

ذلك كي لا يكون النصر رخيصا فتكون الدعوات هزلا. فلو كان النصر رخيصا لقام في كل يوم دعيّ بدعوة لا تكلفه شيئا. أو تكلفه القليل. ودعوات الحق لا يجوز أن تكون عبثا ولا لعبا. فإنما هي قواعد للحياة البشرية ومناهج ، ينبغي صيانتها وحراستها من الأدعياء. والأدعياء لا يحتملون تكاليف الدعوة ، لذلك

يشفقون أن يدّعوها ، فإذا ادّعوها عجزوا عن حملها وطرحوها ، وتبين الحق من الباطل على محك الشدائد التي لا يصمد لها إلا الواثقون الصادقون الذين لا يتخلون عن دعوة الله ، ولو ظنوا أن النصر لا يجيئهم في هذه الحياة! إن الدعوة إلى الله ليست تجارة قصيرة الأجل إما أن تربح ربحا معينا محددا في هذه الأرض ، وإما أن يتخلى عنها أصحابها إلى تجارة أخرى أقرب ربحا وأيسر حصيلة! والذي ينهض بالدعوة إلى الله في المجتمعات الجاهلية والمجتمعات الجاهلية هي التي تدين لغير الله بالطاعة والاتباع في أي زمان أو مكان – يجب أن يوطن نفسه على أنه لا يقوم برحلة مريحة ، ولا يقوم بتجارة مادية قريبة الأجل! إنما ينبغي له أن يستيقن أنه يواجه طواغيت يملكون القوة والمال ويملكون استخفاف الجماهير حتى ترى الأسود أبيض والأبيض أسود! ويملكون تأليب هذه الجماهير ذاتها على أصحاب الدعوة إلى الله ، باستثارة شهواتها وتهديدها بأن أصحاب الدعوة إلى الله يريدون حرمانها من هذه الشهوات! .. ويجب أن يستيقنوا أن الدعوة إلى الله كثيرة التكاليف ، وأن الانضمام إليها في وجه المقاومة الجاهلية كثير التكاليف أيضا. وأنه من ثم لا تنضم إليها – في أول الأمر – الجماهير المستضعفة ، إنما تنضم إليها الصفوة المختارة في الجيل كله ، التي تؤثر حقيقة هذا الدين على الراحة والسلامة ، وعلى كل متاع هذه الحياة الدنيا. وأن عدد هذه الصفوة يكون دائما قليلا جدا.

ولكن الله يفتح بينهم وبين قومهم بالحق ، بعد جهاد يطول أو يقصر. وعندئذ فقط تدخل الجماهير في دين الله أفواجا.

وفي قصة يوسف ألوان من الشدائد. في الجب وفي بيت العزيز وفي السجن. وألوان من الاستيئاس من نصرة الناس .. ثم كانت العاقبة خيرا للذين اتقوا – كما هو وعد الله الصادق الذي لا يخيب وقصة يوسف نموذج من قصص المرسلين. فيها عبرة لمن يعقل ، وفيها تصديق ما جاءت به الكتب المنزلة من قبل ، على غير صلة بين مُحَمَّد وهذه الكتب. فما كان يمكن أن يكون ما جاء به حديثا مفترى. فالأكاذيب لا يصدق بعضها بعضا ولا تحقق هداية ، ولا يستروح فيها القلب المؤمن الروح والرحمة " أ هـ .

السبب الثالث والأربعون / فتنة المهدوية

بعض الناس يتعلق بأخبار هذا الباب تعلقا زائدا عن الحدّ خراجاً عن الفقه الصحيح، كمن يقول : لا خلاص لأمتنا اليوم إلا بالمهدي المنتظر، فنجلس وننتظر خروج المهديّ الموعود، فإذا خرج التحقنا به..!

وهذا نوعٌ من الضلال والفتنة، والعياذ بالله ، لأن الله تعالى لم يأمرك أيها العبدُ بالقعود عن العمل وانتظار المهدي أو غيره، بل أمرَك بالعمل والجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله تعالى والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر التكاليف الشرعية وأداء الأمانات الربّانية، وهذا كله مبيّن لك في شريعة الله تعالى المطهرة، في الكتاب والسنة وما في معناهما، وبيّنه لك العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وشرحوه ووضحوه، فأي عذر لك في ترك كل هذا، وتقعدُ وتقول أنتظر المهدي أو كذا؟! هذا ضلال مبين، عافانا الله وإياكم منه.

ولعل قائل ذلك إذا حضر خروجَ المهديّ فعلا، لا يوفّقه الله ويكون ممن يعاديه ويحاربه..!

قال الشيخ العلوان فك الله أسره : وقسم من الناس قبلوا كل ما هب ودب ، ولم يكن لديهم فرقان بين الشحم والورم ، فقبلوا الأخبار الموضوعة ، والحكايات المكذوبة ، والحجج الواهية وكانوا كحاطب ليل ، وصارت أسانيدهم عن هيان بن بيان وطبقته .

وصنف من هؤلاء ، يعيشون على الرؤى والمنامات ، ويخلطون بين الحق والباطل والصدق والكذب ، ويأتون إلى الأحاديث الصحيحة في المهدي فيربطونها بالأحاديث الضعيفة ، ويخرجون بنتائج مضحكة ، وأراء شاذة ، وقد جزم أحدهم بتحديد وقت خروج المهدي بموت فلان أحد ملوك هذا العصر ، وهذا من الجهل والتعويل على الظن الذي هو أكذب الحديث أ.هـ.

ولله در الإمام أبي عبد الله سفيان الثوري رحمه الله تعالى ، ذي البصر النافذ والعقل الراجح ، حيث لزم التأني وعدم التعجل والفوضوية في هذا الأمر الكبير ، فعن حفص بن غياث رحمه الله تعالى قال : قلت لسفيان الثوري : يا أبا عبد الله ، إن الناس قد أكثروا في المهدي فما تقول فيه ؟ قال : (إن مر على بابك ، فلا تكن منه في شيء ، حتى يجتمع الناس عليه) .

وهكذا يكون العلماء الراسخون ، والدعاة الربانيون ، لا تطوف عليهم هذه الخزعبلات والترهات ، فينظرون بنور الشريعة ، حسب ما يدلهم عليه كتاب ربهم ، وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، عن طريق الأدلة الصحيحة الصريحة عنه صلى الله عليه وسلم .

وثمت طائفة من الناس يولد عنده هذا الحديث ، وهذه البشائر والمفرحات ، انهزاماً روحياً ، وإحباطاً في الإنتاج ، وخللاً في العمل من نشر العلم ، وتبليغ الدين ، ومواجهة الانحرافات في الأمة ، ويعكس هذا عنده أموراً سلبية ، فيتكل على تلك ، وينكل عن العمل الجاد المثمر ، ويكون عنده من الأماني التي هي رأس مال

المفاليس ما لا يخطر على بال ، ولا يدور في خيال ، ولا ريب أن هذا من مصائد الشيطان ومكائده ، وإن هذا الظن الكاذب ، والجهل المركب ، يجر الأمة إلى كوارث مدلهمة ، وأزمات متتالية .

وإن الإنسان الجاد في فكاك نفسه ، الحاذق في فهمه ، الحريص على ما ينفعه صاحب الهمة العالية ، هو الذي يتخذ من تلك المحفزات والمبشرات ، أعظم الإيجابيات ، وأكبر المحفِّزات في مواصلة العمل الجاد لتبليغ دين الله تعالى ، وتوعية البشرية وتبصيرهم بأمور دينهم الذي به قوامهم وعزهم ، والسعي الحثيث والعمل المتواصل لتوطيد شرع الله في أرضه ، والنأي بهم عن مراتع الذل والهوان ، والركون إلى أعداء الله تعالى ، وموالاة الذين كفروا .

ذلك أن الحديث عن المهدي ونحوه من المبشرات من أعظم ما يحفز على الاجتهاد والركوب في سفينة النجاة ، وميل القلب والقالب إلى التعلق بالله تعالى ، والاستعداد إلى لقاء الله تعالى بالأعمال الصالحات ، والعمل على نشر الدين الخالص ، والعقيدة الصافية وتمكين الثوابت الشرعية ، والأصول العقدية ، في جذر القلوب ، ودليل ذلك قوله صلى الله صلى الله عليه وسلم (بادوا بالأعمال ستّاً الدجال ، والدخان ودابة الأرض ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأمر العامة وخويصة أحدكم) أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن هشام بن زيد ، عن أنس .

وقد أدرك ذلك علماء الإسلام ، ووعاه أصحاب الإرث النبوي ، أسوة بنبيهم صلى الله عليه وسلم ، قال داود ابن أبي داود المدني : قال لي عبد الله بن سلام (إن سمعت بالدجال قد خرج وأنت على ودية تغرسها فلا تعجل أن تصلحها فإن للناس بعد ذلك عيشاً) رواه البخاري في الأدب المفرد (169) من طريق سليمان بن بلال ، قال : أخبرني يحيي بن سعيد ، قال : أخبرني مُحَمَّد ابن يحيي بن حبان ، عن داود به .

وقال العلائي مقصود هذه الأخبار ، الحث على البداءة بالأعمال قبل حلول الآجال ، واغتنام الأوقات قبل هجوم الآفات ، وقد كان صلى الله عليه وسلم من المحافظة على ذلك بالمحل الأسمى ، والحظ الأوفى ، قام في رضى الله حتى تورمت قدماه .

قال القاضي – على حديث (بادروا بالأعمال) – أمرهم أن يبادروا بالأعمال قبل نزول هذه الآيات ، فإنها إذا نزلت أدهشت وأشغلت عن الأعمال أو سد عليهم باب التوبة وقبول العمل " أ هـ

أذكر أني مرة زرت أحد المواقع للمجاهدين، فجئت وأحدهم قد سمع كلمة لأحد الدجالين في قضية المهدي، فجئت وقد ترك حفر خندقه الذي أمر بحفره له ، وقال

لماذا الخنادق والمهدي خروجه قريب، يخرج فنتبعه وننتصر ويرفع الله به الذل المخيم علينا، ثم جلست معه جلسة مناصحة وترك هذا الاعتقاد ولله الحمد والمنة .

السبب الرابع والأربعون / التوسع في باب المصلحة

فمن الناس من يتوسع في باب المصلحة، فتجده يتأول لنفسه الكذب باسم المصلحة، ويأكل الحرام باسم المصلحة، ويدخل في موالاة الطاغوت باسم المصلحة، ويحكم بغير ما أنزل الله باسم المصلحة، ويتنازل عن الثوابت باسم المصلحة، فيبطل الحق، ويحق الباطل، ويبرئ المتهم، ويتهم البريء، وأنه يروم المصلحة، ويدفع المفسدة.

وقد قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً} .

قال ابن كثير رحمه الله: "فهذهِ الآية عامّةٌ في جميعِ الأمور، وذلكَ أنه إذا حكمَ اللهُ ورسولُه بشيءٍ فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ههنا، ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}، ولهذا شدَّدَ في خلافِ ذلك فقال

{وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً}، وقوله تعالى {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} " ا ه.

وقال ابن القيم رحمه الله: "فأخبر سبحانه أنه ليس لمؤمنٍ أن يختارَ بعد قضائِه وقضاءِ رسوله، ومن تخيّر بعد ذلك؛ فقد ضل ضلالا مبينا" اهـ.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيميه: "والقول الجامع أن الشريعة لا تهمل مصلحة قط، بل الله تعالى قد أكمل لنا الدين وأتم النعمة، فما من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثنا به النبي صلى الله عليه وسلم، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، لكن ما اعتقده العقل مصلحة وإن كان الشرع لم يرد به فأحد الأمرين لازم له؛ إما أن الشرع دل عليه من حيث لم يعلم هذا الناظر، أو أنه ليس بمصلحة وإن اعتقده مصلحة " أ هـ .

قال سيد قطب: في أفراح الروح : " من الصعب عليَّ أن أتصور كيف يمكن أن نصل إلى غاية نبيلة باستخدام وسيلة خسيسة؟! إن الغاية النبيلة لا تحيا إلا في قلب نبيل: فكيف يمكن لذلك القلب أن يطيق استخدام وسيلة خسيسة؛ بل كيف يهتدي إلى استخدام هذه الوسيلة؟!

حين نخوض إلى الشط الممرع بركة من الوحل لابد أن نصل إلى الشط ملوثين. إن أوحال الطريق ستترك آثارها على اقدامنا وعلى مواضع هذه الأقدام، كذلك الحال حين نستخدم وسيلة خسيسة: إن الدنس سيعلق بأرواحنا، وسيترك آثاره في هذه الأرواح، وفي الغاية التي وصلنا إليها " أ هـ .

قال رحمه الله: (قالَ أكثرُ المفسِّرين لا تفسدوا فيها بالمعاصي، والداعي إلى غيرِ طاعة الله بعد إصلاح الله إيّاها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله مفسدٌ؛ فإن عبادة غير الله والدعوةَ إلى غيره والشركَ به هو أعظم الفساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحيقة إنما هو الشرك بالله ومخالفة أمره، قال الله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} ومن تدبَّرَ أحوالَ العالم وجد كل صلاحٍ في الأرض فسببه توحيد الله وعبادتُه، وطاعةُ رسوله –صلى الله عليه وسلم– ، وكلُّ شرٍّ في العالم وفتنةٍ وبلاءٍ وقحط وتسليط عدو وغير ذلك؛ فسببُه مخالفةُ الرسولِ –صلى الله عليه وسلم– والدعوة إلى غير الله) اهـ.

قال سيد رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} .

" ولقد تدفع الحماسة والحرارة أصحاب الدعوات – بعد الرسل – والرغبة الملحة في انتشار الدعوات وانتصارها .. تدفعهم إلى استمالة بعض الأشخاص أو بعض العناصر بالإغضاء في أول الأمر عن شيء من مقتضيات الدعوة يحسبونه هم ليس أصيلا فيها ، ومجاراتهم في بعض أمرهم كي لا ينفروا من الدعوة ويخاصموها! ولقد تدفعهم كذلك إلى اتخاذ وسائل وأساليب لا تستقيم مع موازين الدعوة الدقيقة ، ولا مع منهج الدعوة المستقيم. وذلك حرصا على سرعة انتصار الدعوة وانتشارها. واجتهادا في تحقيق «مصلحة الدعوة» ومصلحة الدعوة الحقيقية في استقامتها على النهج دون انحراف قليل أو كثير. أما النتائج فهي غيب لا يعلمه إلا الله.

فلا يجوز أن يحسب حملة الدعوة حساب هذه النتائج إنما يجب أن يمضوا على نهج الدعوة الواضح الصريح الدقيق ، وأن يدعوا نتائج هذه الاستقامة لله. ولن تكون إلا خيرا في نهاية المطاف.

وها هو ذا القرآن الكريم ينبههم إلى أن الشيطان يتربص بأمانيهم تلك لينفذ منها إلى صميم الدعوة. وإذا كان الله قد عصم أنبياءه ورسله فلم يمكن للشيطان أن ينفذ من خلال رغباتهم الفطرية إلى دعوتهم. فغير المعصومين في حاجة إلى الحذر الشديد من هذه الناحية ، والتحرج البالغ ، خيفة أن يدخل عليهم الشيطان من ثغرة الرغبة في نصرة الدعوة والحرص على ما يسمونه «مصلحة الدعوة» .. إن كلمة «مصلحة الدعوة» يجب أن ترتفع من قاموس أصحاب الدعوات ، لأنها مزلة ، ومدخل للشيطان يأتيهم منه ، حين يعز عليه أن يأتيهم من ناحية مصلحة الأشخاص! ولقد تتحول «مصلحة الدعوة» إلى صنم يتعبده أصحاب الدعوة وينسون معه منهج الدعوة الأصيل! .. إن على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على نهجها ويتحروا هذا النهج دون التفات إلى ما يعقبه هذا التحري من نتائج قد يلوح لهم أن فيها خطرا على الدعوة وأصحابها! فالخطر الوحيد الذي يجب أن يتقوه هو خطر الانحراف عن النهج لسبب من الأسباب ، سواء كان هذا الانحراف كثيرا أو قليلا. والله أعرف منهم بالمصلحة وهم ليسوا بها مكلفين. إنما هم مكلفون بأمر واحد. ألا ينحرفوا عن المنهج ، وألا يحيدوا عن الطريق " أ هـ .

السبب الخامس والأربعون / قول بعض أصحاب القلوب المريضة مخترقون

قال الشيخ عطية الله :" الاختراق أخي الكريم محتمل وجوده لأي تنظيم أو دولة، لكن النقطة الفارقة هي : على أي مستوى حصل الاختراق؟ فالمشكلة الكبيرة المدمّرة هي أن يتمكن العدو من اختراقك على مستوى القيادة، ونعني بالقيادة ما هو أعمّ من الأمير الأعلى للتنظيم أو الدولة، يعني على مستوى قيادي فعّال مشارك في اتخاذ القرار وفي التوجيه وفي الاطلاع على المعلومات والاستراتيجيات وغيرها، هذا الاختراق المدمّر، وتدميره بحسب قوته وكثرته، فقد يقضي على الجماعة بالكامل ويدمّرها فعلا، والعياذ بالله، وأما الاختراقات التي تقع على مستويات دنيا، فهي تدخل في سياق الجوسسة اصطلاحاً، وهذه لا يكاد ينجو منها تنظيم أو جماعة أو دولة مهما كانت محترسة، فأنت في حرب مع العدوّ وهذه الحرب سجال، ينجح في اختراقك مرة ويفشل مراراً، لكن المهم ألا يصل العدو في اختراقنا إلى مستوى يتحكم فينا.

فهذا على وجه الإجمال.. فكل تنظيم قد يتعرض لبعض الاختراقات، من العدو أو من جهات أخرى صديقة في ظاهرها " أ هـ .

السبب السادس والأربعون/ التوسع في الترف

قد يقول القائل قد ذكرته في التوسع في المباحات ، نعم أشرت إليه لكني أفردته لأضرره .

والترف هو التوسع في النعمة، ولم يَرِد الترف في القرآن إلا في معرض الذم.

قال تعالى: { وَما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ} ، وقال تعالى: { وَكَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ }، قال تعالى: { وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ وَكانُوا مُجْرِمِينَ }، وقال تعالى عن أصحاب الشمال: { إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُتْرَفِينَ } الترف عدو الجهاد والترف تلف للنفوس البشرية .

قال الشيخ علي القرني حفظه الله : "الترف داءٌ عضال، يقتل النخوة، ويقضي على البطولة، ويخمد الغيرة، ويفرز الوهن، ويكبت المروءة، ويضعف الهمة، ويفرز غثاءً يعيش بلا عقل ولا علم ولا تفكير، في تأنثٍ لم يبق معه إلا أن تلحق بصاحبه تاء التأنيث أو نون النسوة!

وما عجبي أن النساء ترجلت ولكن تأنيث الرجال عجاب

همه ما يأكله، وقيمته ما يخرجه يذكر اليوم وينسى الغد، أشباحٌ بلا أرواح، جسومٌ بلا رءوس، والسبب الترف بغير هدف.

نوم الغداة وشرب بالعشيات موكلان بتهديم المروءات

يستغيث المستضعفون والمحرومون في الأرض، فلا يُهب لنصرتهم، ومن أعظم الموانع الترف.

حقوق الله تنتهك، وحدوده تتجاوز، وأوامره تضيع، ويطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم قصصاً وروايات ونظماً ونثراً، ثم لا يهب لإنكار المنكر، ومن أعظم الأسباب الترف.

يركن إلى الظلمة، والداعي هو الترف

يحارب الله –جلّ وعلا– بالربا، والداعي هو الترف

تثقل الكواهل بالديون، والداعي هو الترف

يؤكل بالدين، والداعي هو الترف

يجلس الواحد ريان شبعان متكئاً على أريكته، حتى إذا ما طلب منه نصرة دينه، أو كلف بمهمة، أو عوتب في استغراقه في لهو؛ اندفع كالسهم مردداً: { يا حنظلة ساعة وساعة } وكأنه لا يحفظ من القرآن والسنة الصحيحة غيره والسبب الترف " أ هـ .

قال ابن خلدون رحمه الله في المقدمة :" فصل : في أن الأمم الوحشية أقدر على التغلب ممن سواها .(اعلم أنه لما كانت البداوة سبباً في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة، لا جرم كان هذا الجيل الوحشي أشد شجاعة من الجيل الآخر، فهم

اقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواهم من الأمم، بل الجيل الواحد تختلف أحواله في ذلك باختلاف الأعصار. فكلما نزلوا الأرياف وتفنقوا النعيم وألفوا عوائد الخصب في المعاش والنعيم، نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبداوتهم. واعتبر ذلك في الحيوانات العجم بدواجن الظباء والبقر الوحشية والحمر إذا زال توحشها بمخالطة الآدميين وأخصب عيشها، كيف يختلف حالها في الانتهاض والشدة حتى في مشيتها وحسن أديمها، وكذلك الآدمي المتوحش إذا أنس وألف. وسببه أن تكون السجايا والطبائع إنما هو عن المألوفات والعوائد. وإذا كان الغلب للأمم إنما يكون بالإقدام والبسالة فمن كان من هذه الأجيال أعرق في البداوة وأكثر توحشاً كان أقرب إلى التغلب على سواه إذا تقاربا في العدد وتكافآ في القوة والعصبية) " أ هـ .

وقال ابن خلدون أيضا:" في أن من عوائق الملك الترف وانغماس القبيل في النعيم" ـ إلى قوله ـ وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون إشرافُهم على الفناء فضلا عن الملك، فإن عوارض الترف والغرق في النعيم كَاسِر من سورة العصبية التي بها التغلب، وإذا انقرضت العصبية قَصَّر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة، والتهمتهم الأمم سواهم، فقد تبين أن الترف من عوائق الملك، والله يؤتي ملكه من يشاء ـ إلى أن قال في الفصل العشرين ـ إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة جملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها، فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم ويتبدل بهم سواهم، ليكون نعيا عليهم في سلب ما كان الله قد أتاهم من الملك وجعل في أيديهم من الخير،

وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا، واستقرئ ذلك وتتبعه في الأمم السابقة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه، والله يخلق ما يشاء ويختار] " أ هـ .

السبب السابع والأربعون / تقصير الأمراء بحقوق الأفراد

يحصل التقصير بعدم متابعتهم، ولا السؤال عنهم، لأن الأفراد غالباً تمر بهم ظروف صعبة، فيحتاج من يفضفض إليه معاناته، وربما يحتاج إلى عاطفة كالطفل لاسيما إذا اجتمعت عليه المشاكل والهموم العائلية والغير عائلية .

يا أيها الأمراء والمسؤولون كم من شبابنا من انحرف وأنتم السبب، ربما يجلس في مكان لا يسأل عنه أحد، إلا إذا احتجتموه سألتم عنه، وكأنكم قصرتم المسؤولية على وقت حاجتكم فقط .

ألا فاعلموا أن كل مسؤول استرعاه الله رعية أن الله عز وجل سيسأله عن هذه الأمانة التي حملها، فإن كان أداها على الوجه الأكمل ونصح لها فليحمد الله، وإن كان غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، قال الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا

أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} .

ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، فكلكم راع ومسئول عن رعيته).

عن معقل بن يسار ، قال : سمعت رسول الله ? ، يقول : (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، إلا حرم الله عليه الجنة) .

وفي رواية لمسلم : (ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجتهد لهم أو ينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة) .

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله عز وجل يوم القيامة مغلولة يده إِلَى عنقه ففكه بره أو أوبقة إثمه أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها خزي يوم القيامة » .

قال الله تعالى عن سليمان : { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ } ، نعم إنها مسؤولية الراعي الجسيمة، ومهمته العظيمة ، في تفقد الرعية ، أيا كانت هذه الرعية ، صغيرة أو كبيرة ، و(كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته فالرجل) .. هذا الملك العظيم والحشد الجليل من الجن والأنس والطير لم ينس معه سليمان الهدهد { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا

أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ* لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } .

استشعار عمر بن الخطاب بالمسئولية: (لو أن دابة عثرت بأرض العراق لخشيت أن أسأل عنها يوم القيامة، لِمَ لَمْ تذلل لها الطريق يا عمر) .

حريق الفاروق عمر قصر سعد بن أبي وقاص لما احتجب فيه عن الرعية وصار يحكم في داره .

روى أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال:" بينما أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعس المدينة إذ أعيا واتكأ على جانب جدار في جوف الليل وإذا امرأة تقول لابنتها يا ابتناه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء فقالت لها يا أمتاه وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم قالت وما كان من عزمته يا بنية قالت إنه أمر مناديا فنادى ألا يشاب اللبن بالماء فقالت لها يا بنية قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فانك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر فقالت الصبية لآمها يا أمتاه ما كنت لأطيعه في الملأ واعصيه في الخلاء وعمر يسمع كل ذلك فقال يا أسلم علم الباب واعرف الموضع ثم مضى في عسسه حتى أصبح فلما أصبح قال يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها وهل لهم من بعل فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيّم لا يعل لها وإذا تيك أمها وإذ ليس لهم رجل فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته فدعا عمر ولده فجمعهم فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى

هذه المرأة ، فقال عبد الله لي زوجة وقال عبد الرحمن لي زوجة وقال عاصم يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني ، فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت لعاصم بنتا وولدت البنت وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز" قال ابن الجوزي في صفة الصفوة: كذا وقع في رواية الآجري وهو غلط ولا أدري من أي الرواة. وإنما الصواب: فولدت لعاصم بنتا وولدت البنت عمر بن عبد العزيز كذلك نسبة العلماء" اهـ

السبب الثامن والأربعون / عدم حسم قضايا الخلاف التي تحصل بين السباب

من الطبيعي أن يحصل بين الشباب المجاهد خلاف وسوء تفاهم، لكنه ليس من الطبيعي أن يؤخر حل هذا الخلاف، ربما تزداد الأحقاد ويتولد عليها أحكام، والشيطان حريص على اشعال النار بينهم يقول الله تعالى :{ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن

الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم)
رواه مسلم .

أحياناً تبدأ المشكلة صغيرة فتحتاج إلى جلسة أو جلستين ويحسم الخلاف، لكن لتقصير المسؤول أو الأمير في هذا الباب يؤخرها حتى تكبر وأحياناً يصعب حلها .

الرسول ﷺ يتفرغ لقضية زوجية بين مغيث وبريرة رضي الله عنهما، مع كثرة مشاغله، كان مغيث رجلاً أسود وكان يحب بريرة حباً جماً، فشاء الله أن تعتق بريرة، والسنة في المعتقة أن تخيّر بين البقاء مع زوجها أو الفراق، فاختارت الفراق، فمن شدة حبه لها كان يطوف خلفها في الأسواق يبكي وتبلّ دموعه خده ولحيته، فرآه الرسول على هذه الحال، وكان الرسول يمشي مع عباس ، فقال الرسول ﷺ للعباس:

(يا عباس ! ألا تعجب من حب مغيث لـ بريرة وبغض بريرة لـ مغيث ؟

فقال: يا رسول الله ! لو شفعت، فذهب الرسول يشفع، قالت: تأمرني يا رسول الله؟ قال: لا. إنما أنا شافع، قالت: لا حاجة لي فيه) .

في قضية أبي ذر مع بلال رضي الله عنهما كما جاء عن المعرور بن سويد قال: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وعلى غلامه حلة، (وفي رواية: وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَقُلْنَا: لَوْ أَخَذْتَ هَذَا، وَأَعْطَيْتَ هذا غيره كانت حُلَّةٌ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَبَبْتُ رَجُلًا فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ ". قُلْتُ: نَعَمْ. ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ،

جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ". حسم الخلاف في نفس الجلسة وانتهت قضية .

السبب التاسع والأربعون/ غياب القدوة

القدوة الحسنة عنصر هامّ في كل جماعة، فمهما كان أفراده صالحين فهم في أمس الحاجة لرؤية القدوات، كيف لا وقد أمر اللّهُ نبيَه بالاقتداء فقال:{ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ}.

القدوة الحسنة وضرورة توافرها في القائد والأمير، فإن صلاحه صلاحٌ لأفراده، كما أن عيوبهم معقودة بعيوبه، فالحسن عندهم ما فعل، والقبح عندهم ما ترك، وقد ضرب المعلم الأول عليه الصلاة والسلام بحسن القدوة الحسنة المثلَ الأعلى، فقد كان العربي القح يراه فيقول: «والله ما هذا بوجه كاذب»، فيشهد له بالصدق بمجرد رؤيته، فكيف بمن شاهد أخلاقه وحسن تعليمه .

يقول أحد السلف: (كان يجتمع في مجلس الإمام أحمد زُهَاء خمسة الآلاف، وكان أقل من خمسمائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب وحسن السمت).

* ويقول أبو بكر المطوعي: (كنت أختلف إلى الإمام أحمد فما كنت أكتب حديثًا واحدًا، إنما أنظر إلى هديه وأخلاقه وأدبه).

وأوضح دليل على هذا التأثر بالقدوة مهما كانت الظروف ما وقع في يوم الحديبية، ففي صحيح البخاري قال عمر : فلما فَرَغ من قضية الكتاب ـ أي: بنود الصلح ـ قال رسول الله لأصحابه: ((قوموا، فانحروا ثم احلقوا))، قال: فوالله، ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: يا نبيّ الله، أتحبّ ذلك؟ اخرُج لا تكلّم أحدًا منهم كلمةً حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلّم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضُهم يقتل بعضًا غمًّا.

وقال بعضهم في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والتأسي به :

إذا نحن أدلجنا وأنت إمَامُنــــــا　　　كفى بالمطايا طِيبُ ذِكراكَ حاديا

وإن نحن أضلَلْنَا الطريقَ ولم نجدْ　　　دليلا كفَانَا نُورُ وَجْهِكَ هَاديــا

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فوائد قصة حنين وثبات النبي ﷺ أمام العدو وهو يركض ببغلته وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب، قال : " وإذا كان رأس الجيش قد وطَّن نفسه في الحرب على عدم الفرار وأخذ بأسباب ذلك ، كان ذلك أدعى لأتباعه على الثبات ".

يقول مُحَمَّد قطب في كتابه منهج التربية الإسلامية: "من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل منهج، ولكن هذا المنهج يظل حبرًا على ورق ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض، وما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه عندئذ فقط يتحول إلى حركة .. يتحول إلى حقيقة " أ هـ .

قال مصطفى الرافعي رحمه الله : "لو أقام الناس عشر سنين يتناظرون في معاني الفضائل ووسائلها، ووضعوا في ذلك مئة كتاب، ثم رأوا رجلاً فاضلاً بأصدق معاني الفضيلة، وخالطوه وصاحبوه؛ لكان الرجل وحده أكبر فائدة من تلك المناظرة، وأجدى على الناس منها، وأدل على الفضيلة من مئة كتاب ومن ألف كتاب.. إلخ" أ هـ .

ورحم الله من قال قديماً:

مشى الطاوس يوماً باختيال فقلده بمشيته بنوه

فقال علام تختالون قالـوا لقد بدأت ونحن مقلدوه

وينشأ ناشئ الفتيان منـــا على ما كان عوده أبوه

السبب الخمسون / قتل النفس المعصومة بغير حق

المقصود بالنفس المعصومة النفس التي عُنيت الشريعة الإسلامية بحفظها بسبب الإسلام أو الجزية أو العهد أو الأمان.

وأما غير ذلك من الأنفس كنفس المحارب ، أو من وجبت عليه عقوبة شرعية من قصاص أو رجم أو تعزير فليست من الأنفس المعصومة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم – :"لن يزال المؤمنُ في فسحةٍ من دينه مالم يصبْ دماً حراماً " رواه البخاري .

قال ابن حجر في الفتح : "قوله: ((من دِينه)) كذا للأكثر بكسر المهملة من الدين، وفي رواية الكشميهني: ((من ذَنبه)). فمفهوم الأول: أن يضيق عليه دينه، ففيه إشعار بالوعيد على قتل المؤمن متعمداً بما يتوعّد به الكافر. ومفهوم الثاني: أنه يصير في ضيق بسبب ذنبه، ففيه إشارة إلى استبعاد العفو عنه لاستمراره في الضيق المذكور. وقال ابن العربي: الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره، والفسحة في الذنب قبوله الغفران بالتوبة حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول".

وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح : "قوله: (إن من ورطات) جمع ورطة بسكون الراء وهي الهلاك، يقال: وقع فلان في ورطة أي: في شيء لا ينجو منه،

وقد فسرها في الخبر بقوله: (التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها)، (سفك الدم) أي: إراقته، والمراد به القتل بأيّ صفة كان، لكن لما كان الأصل إراقة الدم عبَّر به".

قال الحافظ بن حجر:" وقد ثبت عن ابن عمر أنه قال لمن قتل عامداً بغير حق: "تزود من الماء البارد، فإنك لا تدخل الجنة" أ هـ .

قال الإمام ابن العربي رحمه الله : " ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك، فكيف بقتل الآدمي؟ فكيف بالمسلم؟ فكيف بالتقي الصالح؟" أ هـ .

وقال الغزالي: "والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول: (لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله) خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأِ في سفك محجمة من دم مسلم " أ هـ .

وفي حديث أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً، أو قتل مؤمناً متعمداً). رواه النسائي، وصححه الألباني.

وفي حديث عمرو بن الحمق الخزاعي أن الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أمَّن رجلاً على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل، وإن كان المقتول كافراً) رواه النسائي وصححه الألباني .

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله : "وإياكما والعون على سفك دم بكلمة، أو المشاركة فيه بلفظة؛ فلا يزال الإنسان في فسحة من دينه ما لم يغمس يده أو لسانه في دم امرىء مسلم " أ هـ .

خاتمة :

في حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:"مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَ الله إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ" رواه أبو داود.

في الحديث تحذير من مقاربة الشر، بل فيه الحث على الابتعاد عن الشر ومواقعه، بل يجب على الإنسان أن يعرف مكامن الشر ليحذر منها، قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما:" كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسله عن الشر مخافة أن يدركني " وما أحسن ما قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه   ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه

وقد ذكرت لك خمسين سبباً من أسباب الانتكاسة، من أجل أن نجتنبها وبتعد عنها، فر من المجذوم فرراك من الأسد، وعلينا أن نكثر من الدعاء بالثبات على هذا الطريق، فليست العبرة بمن سبقَ إنما العبرة بمن صدق .

و لهذا يقول ابن القيم رحمه الله في المدارج :" قد يعرض له أعلى المقامات في أول بداية سيره فيفتح عليه من حال المحبة و الرضا و الأنس و الطمأنينة مالم يحصل بعد لسالك في نهايته و قد يحتاج هذا السالك في نهايته إلى أمور من البصيرة و التوبة و المحاسبة أعظم من حاجة صاحب البداية إليها فليس في ذلك ترتيب كلي لازم للسلوك " أ هـ .

{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ} ، و كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" ، فقيل له في ذلك ، قال ﷺ :" إنه ليس آدمي إلا و قلبه بين إصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام و من شاء أزاغ " .

أسأل الله عز وجل أن يثبتنا على هذا الطريق، طريق الجهاد لإقامة دولة اسلامية، تحكم بشرع الله، ونسأل الله سبحانه أن يثبتنا على طريق الجهاد حتى يتوفانا وهو راض عنا، غير مبدلين ولا متخاذلين. وأن يختم لنا بالشهادة، وأن يجمعنا مع نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وأن نلتقي معه في الفردوس الأعلى.

لكنني اسأل الرحمن مغفـــرة   وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهـــزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جثتي أرشدك الله من غاز وقد رشدا

والحمد لله رب العالمين وصلى اللهم على رسولنا مُحَمَّد ﷺ .

بيت المقدس